دوريان لوكس

@ketab_n
Follow Me
11.12.2014

وحيدةٌ في غرفة أمسحُ الغبار

@ketab_n
Follow Me

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

دوريان لوكس

وحيدةٌ في غرفة أمسحُ الغبار

@ketab_n
Follow Me

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

كلمة KALIMA منشورات الجمل

Twitter: @ketab_n

دوريان لوكس، وحيدةٌ في غرفة أمسحُ الغبار، شعر

Twitter: @ketab_n

دوريان لوكس: **وحيدةٌ في غرفة أمسحُ الغبار**، شعر
اختارها وترجمها: سامر أبو هواش، الطبعة الأولى
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية محفوظة للناشر
كلمة KALIMA و **منشورات الجمل**، ٢٠٠٩
كلمة، ص.ب: ٢٣٨٠ أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٦٣١٤٤٦٨ ٢ ٩٧١ + ـ فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
www.kalima.ae
منشورات الجمل، ص.ب: ٥٤٣٨/١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Dorianne Laux:
In a Room with a Rag in My Hand
© Dorianne Laux

© *Al-Kamel Verlag* 2009
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

Twitter: @ketab_n

دوريان لوكس (١٩٥٢-)

من أين يأتي الشعر؟ من الحياة/ الحيوات المتعدّدة التي يحياها المرء (الشاعر)، أم من الشعر نفسه؟ من المفردة والصورة، بمستوياتها المختلفة، أم مما تسرده هذه اللغة وتفصح عنه؟ من ميراث الكتابة نفسه، والخبرات التعبيرية المتراكمة، أم من مكان شخصي؟ بعض الشعراء يطرح شعره أمامك كل هذه الاحتمالات، إذ يبدو طالعاً منها جميعاً، إلى حدّ يكاد يكون متساوياً، ومن هؤلاء الشاعرة دوريان لوكس (يكتب الاسم Laux لكنه يلفظ Lox أو Locks)، التي تعدّ من أبرز الأسماء الشعرية التي ظهرت في التسعينات من القرن الفائت. فتجربة هذه الشاعرة تضعنا أمام الحرفة التعبيرية والأدوات الشعرية واللغوية الرفيعة، وبالتوازي مع ذلك، تفتح أمامنا عالماً حميماً وخاصاً ومتعدداً، هو عالم الشاعرة/ المرأة نفسه، حياتها، سيرتها، آلامها، إخفاقاتها، أفكارها، خبراتها. . .الخ. أي أننا أمام تجربة متماسكة وقوية لجهة أدواتها، وفي الوقت نفسه نحن أمام سردية (شعرية) إنسانية تجعل القصيدة كل مرة تنبض بقوة الحياة القريبة والأليفة التي تعبّر عنها، أو تسعى إلى التعبير عنها.

Twitter: @ketab_n

تقول لوكس في حوار صحافي، إنها تعتبر شعرها «شعبياً» بمعنى قدرته على النفاذ إلى شريحة واسعة من القراء، على الرغم من نخبويته لجهة الأدوات التعبيرية، أي انتمائه إلى تقليد في الكتابة لا يعتمد المباشرة والبوح واستنفار المشاعر العامة، وإن بدا كذلك في بعض الأحيان، ناهيك عن الصعوبة النسبية للغة التي تكتب بها. لكن هذه اللغة توظّف باستمرار في كتابة هي أقرب إلى المادية الملموسة، منها إلى رمزية تدور في إطار اللغة وحدها. وهذا بالنسبة إلى لوكس لا يعني الواقعية بالضرورة، وإن كانت هذه الأخيرة شديدة الحضور في قصائدها، بقدر ما يعني الانطلاق من الواقع لتحويله دائماً إلى شيء آخر. الواقع ربما كذريعة تحاول لوكس أن تقول من خلاله الطبقات المتعددة للخيبة والألم، كما للمسرات وأشكال الاحتفاء بالحياة.

كل قصيدة من قصائد لوكس، في دواوينها الأربعة حتى الآن، تكاد تكون نوعاً من البحث عن أسرار الحياة الكثيرة والتي لا تستقرّ على حال، ولا يمكن تلخيصها برأي أو نظرية أو حتى إحساس.

ما يجعل شعر لوكس «شعبياً» بالنسبة إليها، وعلى حدّ قولها، هو أنها هي نفسها عاشت حيوات متعددة، عرفت في طفولتها قسوة الحياة العائلية وحنانها، عرفت التشرد، اختبرت الحب واللذة، اختبرت الزواج والأمومة والطلاق، تنقّلت بين وظائف كثيرة جعلتها تحتك بالطبقات السفلى والوسطى من المجتمع، أي أنها نمّت لديها إحساساً عميقاً بذاتها، كما بالآخرين، لا بمعنى التضامن العام إزاء قسوة شروط الحياة، بل

Twitter: @ketab_n

بمعنى الفهم العميق للفرديات الممزّقة والقلقة، للآلام الداخلية الخاصة، لأشكال العزلة، للمطالب البسيطة التي تبدو إزاء تعقيدات الحياة اليومية مستحيلة... كل ذلك يشكّل ذات لوكس الشعرية، التي تجعل القصيدة عندها قائمة على مستويين متراكبين، الأول العنصر السردي المنطلق من الواقع، أو السيرة، أو الذاكرة، أو الحياة اليومية، والعنصر الثاني رفع كل هذه الشؤون إلى مستوى السؤال الشعري، واعتماد أدوات تعبيرية (التصوير، التخييل، الاستعارات، التشبيهات، الرموز، الأساطير... الخ) في غاية الدقة، بحيث لا يؤدي السرد لديها إلى عبارة فضفاضة أو فالتة، بل إنها باستمرار مضبوطة بإيقاع داخلي حازم ومتماسك.

لعل العنصر الذي يظهر في معظم قصائد لوكس أو الذي تنطلق منه قصيدتها باستمرار، هو الإحساس الدائم بالخسارة، كما الإحساس بفداحة الزمن. هناك شعور دائم بأن هناك شيئاً ما يضيع، حتى في اللحظة الحالية المعيشة، وبالتالي هناك بحث عن أثر هذه اللحظة، عمّا يجعل حضورها مادياً، والأمر نفسه في ما يتعلّق بالماضي البعيد أو القريب: أيّ أثر يتركه هذا الماضي في «الآن» و«هنا»، كيف يمكننا تجميد لحظة فائتة وضائعة، لمعاودة بثها في الحاضر الذي هي أصلاً تتحرّك فيه، وإن في الخفاء. الموت بهذا المعنى يشكّل عنصراً ملحّاً في قصائد لوكس، وهذا ما يمكن لمسه بقوة من خلال هذه الاختيارات مثل قصيدة «يعاودني الموت، فتاة»، أو «سيمفونية الوداع» أو «مقبرة في وادي هيرد». ولا يبدو الموت هنا مجرّد قضية وجودية أو

Twitter: @ketab_n

ميتافيزيقية، بمعنى التفكير في الماوراء (الذي تنفي الشاعرة في إحدى القصائد وجوده)، بل إنه قضية مرتبطة بالحياة نفسها، أي بعنصر الخسارة المذكور. وهو ما تكمل بناؤه قصائد أخرى مثل «شظايا» و«دخان»...، تشتغل لوكس على مأسوية الخسارة التي تواجهنا باستمرار، والتي تبدو أحياناً قدراً محتوماً (كما في قصيدة «التخطيط للمستقبل»). وهنا تبرز «معالجة» الشاعرة للعلاقات (الإنسانية عموماً، وخصوصاً بين الرجل والمرأة) حيث الوحدة، وحدة كل كائن، تبدو باستمرار قدراً مؤجلاً. لكن هذه ليست الصورة النهائية. إذ على الرغم من شدّة السواد التي تنضح بها مثل هذه القصائد، فإنها تقود في آن معاً إلى تمجيد اللحظة الراهنة والمعيشة، تحديداً لأنها لحظة مفتقدة، وبالتالي إلى نوع من التصالح مع هذه اللحظة (كما في قصائد مثل «في سبيل الغرباء» و«مشعل الحرائق» و «إذا كان هذا هو الفردوس») انطلاقاً من الإدراك العميق لمأسويتها، ولفداحة الخسارة الدائمة (قصيدة «أشباح» نموذجية في هذا الإطار...).

ولدت دوريان لوكس في مدينة «أوغوستا»، بولاية «ماين»، الولايات المتحدة الأميركية في ١٩٥٢. عانت في طفولتها عنفاً منزلياً تمثّل في معاملة الأب السيئة لها ولأمها وأختها، وبين سن ١٨ و٣٠ تنقّلت في وظائف عدة منها عاملة في محطة بنزين، عاملة في مغسل، طباخة، مدبّرة منزل، خادمة، وموظفة في مخبز، بائعة اشتراكات في دليل تلفزيوني...الخ. في ١٩٨٣ عادت إلى «بيركلي»، كاليفورنيا، حيث تلقّت منحة مكّنتها من

Twitter: @ketab_n

الالتحاق بكلية «ميلز» وكانت قد أصبحت متزوجة وقتذاك ولديها ابنة في التاسعة. في الأثناء كانت لوكس تكتب الشعر وتنشره في بعض المجلات، بعد تخرجها من الكلية حاملة شهادة في الأدب الإنجليزي، تلقّت منحة أخرى من «ناشيونال إندومنت فور ذي آرتس». أصدرت لوكس مجموعتها الشعرية الأولى «يقظة» في العام ١٩٩٠، أتبعتها عام ١٩٩٤ بمجموعة «ما نحمله معنا» التي رشحت لجائزة «ناشيونال بوك كريتيكس سيركل أووردز» التي تعد من أرفع الجوائز الأدبية الأميركية. وفي تلك السنة انضمّت إلى جامعة «أوريغون» ضمن برنامج الكتابة الإبداعية حيث مارست التدريس ثم إدارة هذا البرنامج. نشرت لوكس بعد ذلك مجموعة «دخان» (٢٠٠٠)، كما ساهمت مع كيم أدونيزيو في كتاب «رفيق الشاعر: دليل إلى متع كتابة الشعر» (١٩٩٧). أما آخر إصداراتها الشعرية فهو بعنوان «حقائق عن القمر» (٢٠٠٥).

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «يقظة» (١٩٩٠)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

أشباح

إنه منتصف الليل ويهطلُ مطر خفيف.
أجلسُ على سلّم الشرفة الأمامية لأدخّن.
قبالتي نافذة مضاءة
يملؤها سلّم يقف عليه شاب
يخفض رأسه باتجاه إطار النافذة
كلّما أراد أن يغمّس فرشاته بالطلاء.

إنه يطلي مطبخه بالأبيض،
مغطّياً بأناة وبضربات طويلة الأصفر الباهت.
يعمل بدأب عاشق،
مخاطراً بفقدان التوازن،
ثم يعود برشاقة إلى وسط الدَرَجة ليغمّس فرشاته
ويبدأ من جديد.

Twitter: @ketab_n

تظهر امرأة ترتدي كنزة بلون الحامض
تغمّس بالطلاء فرشاتها الرفيعة كلسان.
لابدّ من أنها بداية حبهما؛
حبّ عار وبسيط
كتلك الغرفة المبلّلة.

الإسمنت الرطب يؤلمني،
فأحمل جسدي إلى الداخل وأريحه على السرير.
صرتُ عجوزاً على الجلوس على الشرفة تحت المطر،
ومشاهدة الفجر يشرقُ على السطوح.
كبرتُ على الرقص في دوائر
في حانات قذرة،
بينما يد أحدهم تضغط على ظهري،
ويتدلى صندلي الزهري
من أصابعي المتعبة.

الحبّ.. كبرتُ كثيراً عليه،
كبرتُ على ألسنة الغرباء التي ذات يوم

Twitter: @ketab_n

كانت طليقة في فمي،
على أسنانهم التي قرعت يوماً على صدري
كأجراس ناعمة.

أريد أن أستعيد هذا كله:
الأقراط الحمراء والصدريّة الزرقاء.
الشفتان المشبعتان باللعاب.
العضلات التي تنفتل
كحبال المراكب في الرياح العاتية.
وحيث البطون تصير وسائد.

لا أريد هذا الألم في وركي.
أريد الفتاة التي كانت تقتحم مكاتب المراهنة
التي ازرقّ هواؤها من الدخان والجعة الذهبية،
التي كانت تخرج بمفردها إلى الضباب الصيفي
لتقف تحت مصباح الشارع مكوّرة راحتيها المزرقّتين
فوق عود ثقاب مشتعل.

Twitter: @ketab_n

فتاة كهذه، كان يمكن أن تحظى بحيوات كثيرة.
أن تفرّ مع فتى إلى «أريزونا»،
أن تعيش في مزرعة
منحوتة في الصخور،
تصطبغ فيها يداها بالرمل الأحمر.
كان يمكن أن تقول «بلى»
لامرأة رفيعة الأصابع كالشموع،
أو لرجل ينام في خيمة قماشية،
الرجل الذي طرحها على العشب
وتركها تفرغ نفسها
كحلقة من النار.
أوكلاهوما
كان يمكن أن أكون هناك الآن،
أقوم بتقشير الذرة الجافة،
وأخزّن الطماطم الضخمة في الجرار الزجاجية.

توقف المطر. وها هو ينقّط من بيوت الحيّ
كساعات تتكتك.

Twitter: @ketab_n

أطفئ النور وأتحسّس طريقي إلى غرفة النوم،
أدسّ أصابع رجلي الباردة بين الشراشف الزهرية،
ألقي صدري على ظهر رجل ينام بالبيجاما،
بزته معلقة بثبات في الخزانة،
حذاؤه المتعب مائل باتجاه السقف.

هذا الرجل يحبني لذكائي ولجرأتي،
وللطريقة التي تبرز فيها ساقي من التنانير المهدّبة.
حين يطوي جسده على جسدي
أعرف أنه يشعر بوجود شخص آخر. ولا ألومه.
أحبه حتى وأنا أتذكر رجلاً تتفتّح على صدري
براعم يديه الحمراء.

ويعانقني،
حتى عندما تتصارع تلك الأصابع الأخرى
في داخلي،
حتى عندما الكتفان الآخران
يلتصقان بكتفيه
كجناحين.

Twitter: @ketab_n

يقظة

لو لم تكن هذه الملاءة الرفيعة
ترتفع وتهبط على صدركَ، لبدوت ميتاً.
شعركَ يغمر الوسادة. وذراعاك منشوران على السرير.
القمر يملأ النافذة. وأنا أقف في مستطيل أبيض من الضوء،
مغطّية بيديّ نهديّ العاريين.
بعد ساعة سيخفض القمر نفسه.
وسينبح الكلب في الباحة الخلفية.
ويمضي لاستخراج عظمته من تحت السياج.
لو كان لنا أطفال، لو كنا من أتباع عقيدة ما،
ربما ما كان النوم سيبدو موتاً
ولا كان بدا معاول تقلّب التربة السوداء.
سيأتي الصباح لأنه مضطر لذلك.

Twitter: @ketab_n

ستفتح عينيك.
سترتفع الشمس متوهّجة وتمنح الهضاب شكلاً.
سيسكب جارنا عازف الساكسفون موسيقاه فوق السطوح،
فوق اللبلاب المعترش، والشجرة المرتعشة،
وستعيد لنا أنفاسه كل شيء:
الحديقة. والسماء الزرقاء الصلبة.
وتفاحة الضوء العذبة.

Twitter: @ketab_n

الطائر

ثمة طائر يحاول منذ أيام اقتحام نافذتي.
يقف على غصن واطئ، فتتناثر منه زهور بنفسجية،
ثم يقفز في الهواء ويطير مباشرة إلى نافذتي،
مرجعاً منقاره وصدره إلى الخلف،
ثم مصطدماً الزجاج.
ربما كانت وجهته الشجرة
التي يراها منعكسة في الزجاج،
لكنه مجرد تخمين.
أظلّ شاخصة نحوه حتي يعتريه اليأس
ويرحل من جديد.
لكنني أنتظر عودته،
سماع خربشته المألوفة على الزجاج.
أرشف قهوتي الباردة وأتأمّل الغرفة،

Twitter: @ketab_n

محاولة رؤيتها جديدة عبر عيني طائر.

ليس من جديد هنا.

الكتب مكوّمة في الزاوية.

المعاطف معلّقة على ظهور الكراسي،

ثمة أطباق ورقية، وكوب نصف مملوء بالحليب الفاسد.

الأطفال في المدرسة. والزوج في العمل.

أجدني وحيدة في هذه الغرفة

مع أزهار ميتة في مرطبان مربى.

ما الذي لديّ ويريده الطائر بمثل هذه القوّة

حتى يتحمّل هذا الإخفاق، مرة بعد مرة؟

Twitter: @ketab_n

على الشرفة الخلفية

على الشرفة الخلفية
تموء القطة مطالبة بالطعام.
أضع لها الحبوب التي على هيئة نجوم،
ثم أربّت ظهرها الأسود.
بعد قليل ويهبط الليل.
وثمة ضوء خفيف إلى جهة الشرق.
فوق بيت الجيران قمر شفّاف،
وبعض الغيوم الحمراء.
كل ما أحبه موجود الآن داخل البيت.
ابنتي ترشّ السكر على كعكة بالبسكويت.
وثمة رجل سيرفع بعد قليل شعري بيديه
ويفرشيه حتى يتطاير منه الشرر.
لا يزال كلّ شيء مثلما تركته.

Twitter: @ketab_n

العشاء يغلي في الموقد.
وثمة أطباق زجاجية تنتظر أن تملأ بالمرق الذهبي.
وباقات بقدونس تنتظر تقطيعها على النضد.
كم أرغب في اشتمام هذا الحساء الدسم.
الفضاء يعتم حولي، و النجوم بدأت
تضغط أجسادها البسيطة على بدن السماء.
أريد البقاء هنا
على هذه الشرفة الخلفية
بينما يذهبُ العالم إلى النوم،
حتى يفتقدني كل ما أحبه،
وينادوني للدخول.

Twitter: @ketab_n

فتاة عند المدخل

إنها في الثانية عشرة. باب غرفتها مقفل.
وشريط الهاتف يمتدّ متشابكاً في الرواق،
أقف قرب المجفّف
وأصيخ السمع عبر الجدار الرفيع الفاصل بيننا،
صوتها يعلو ويخفت بينما تصفُ لأحدهم حياتها الجديدة.
صباحاً يحلّق، من جوربيها، ومن فرشاة شعرها،
صفير على هيئة نجوم زرقاء وجيزة
يجعل المقوّم الفضي يلمع
داخل شفتيها الرقيقتين.
علاماتها المدرسية ترتفع وتنخفض،
أصدقاؤها يخابرونها أو لا يخابرونها،
كلبها يمضغ حذاءها الجديد
وصولاً إلى بطانته.

Twitter: @ketab_n

في بعض الأيام تفتح الباب
ويفوح المسك من سريرها
ويملأ الردهة المعتمة.
تضع ملاءة قطنية على الأرض .
ويبرز الغبار في دوائر ذهبية خلفها.
تسير، كإلهة، في المنزل،
كل نافذة تنبض بالصيف.
وفي الخارج ينتظر الفتيان وقد بدأ ينفد صبرهم.
وحين تخرج إلى الشرفة الأمامية،
تتأرجح الشمس على خصلات شعرها،
ويبرز مفترق فخذيها
كجناحين تحت ذراعيها
حين ترفعهما وتلوّح: وداعاً، وداعاً.
ثم تستدير وتمضي،
تطوي الضوء كله، كوسادة، بين ذراعيها،
وتحمله معها.

Twitter: @ketab_n

شظايا

نركّب قطعَ الأحجية واحدة بعد الأخرى،
ونحبّ كيف بسلاسة تتخذ كل قطعة
مكانها في داخل الأخرى.
لطخة صفراء تصبح مكنسة،
وقطعتان زرقاوان تكملان السماء.
نجمع معاً أرجوحة الشرفة وأشجار الخريف،
واضعين اللون الذهبية مع اللون الذهبي.
نحمل عينيّ الغزال براحاتنا،
ونؤلّف فردتي حذاء بني.
نفعل ذلك بينما الطفلة تدور في الغرفة،
غير صبورة إزاء تفتّحها،
ضجرة من البيت المنظّم، والسرير المرتّب،
والطعام الصحي.

Twitter: @ketab_n

ندعها تكتئب
بينما نتنقّل بين القطع
واضعين كل منها في موضعه
برقة هانئة،
مديرين ظهرينا لبضع ساعات
للعالم الذي ينهار،
للسماء التي تهوي،
لشظايا الحياة
التي علينا الرجوع إليها.

Twitter: @ketab_n

يوم الأحد

البراد بيننا على العشب.
حرّ شديد. سماء بيضاء.
قبة تعلو هنا، صليب يتلألأ هناك،
فوق الأسطح المغبرة.

تحمل الخرطوم المنتفخ،
وتضغط على الصنبور الفضي.
مروحة مائية ترش أقواس قزح
فوق المرجة المحتضرة. عصافير مغرّدة
تترقرق بالأخضر، وقد تلقّحت بطونها
من الشجرة الهزيلة.

Twitter: @ketab_n

نسمع أجراس الحادية عشرة.
جيراننا يعودون من الكنيسة.

أومئ لهم برأسي بينما يدخلون
بسياراتهم النظيفة إلى كاراجاتهم المرتبة،
ويعبرون الأبواب الشبكية بقفازات حريرية
وقبعات بيضاء، وأناجيل سوداء.

يرتفع دخان الشواء حاداً وعذباً.
أحسدهم على راحة بالهم الأسبوعية.
على معرفتهم
إلى أين سيذهبون بعد الموت.

الفحم ينكمش في الشمس.
أريد أن أكون كاثوليكية. يهودية. ربما
«ميثودية». أريد أن أركع لأيام
على الخشب الخشن.

Twitter: @ketab_n

يأتي أولادهم بشورتات زاهية،
وملابس سباحة، شباشبهم المطاطية
تطرطق على الإسمنت الحار.
قد يكونوا أولاد أي أحد؛
الرب يسكن أجسادهم الصغيرة.
يا إلهي، أنظر كيف يحلقون كالطيور
عبر رشاشات المياه
التي تتحرك متقطّعة كالمقصات.

في نهاية الشارع صوت راديو صغير.
الشمس تحملق ببيوتنا كعين.
لا أريد أن أموت.
لا أريد أن أترك هذا الحيّ.

أحسدُ كل شيء، كل شيء.
وأعرف أن هذه خطيئة.
أحبّ كيف تتحرّك على كرسيك،
كيف تأخذ جرعة كبيرة من جعتك،
كيف تكوّر أصابع رجليك، وتدندن.

Twitter: @ketab_n

الحديقة

كنا نتكلم عن الشعر
وعن الحرب النووية.
قالت إنها لا تستطيع الكتابة عنها
لأنها لا تستطيع تخيّلها.
فقلت: ما عليك إلا أن تتخيلي
أن آخر ما سترينه في هذا العالم
سيكون مقبض الباب.
تخيلي أنه صودف وقوفك عند الباب
وأنك، في تلك اللحظة، كنت تنظرين إلى الأسفل
إلى ذلك المقبض القديم
الذي يعلوه الصدأ والشحم من كثرة الاستعمال.
تخيلي الأمر يحدث بسرعة البرق
قبل أن يتسنى لك الوقت للتفكير بأي شيء آخر؛

Twitter: @ketab_n

بأولادك، بحياتك وبما تعنيه هذه الحياة.
ها أنت تكوّرين أصابع يدك وتمدينها نحو المقبض،
وفي هذه اللحظة يومض ضوء أبيض على النافذة،
ترينه بطرف عينك لأنك تنظرين إلى المقبض،
ولا يشغل تفكيرك سوى أنك ستفتحين الباب الخلفي
وتخرجين إلى الشمس على الشرفة،
إلى تلك الرقعة في الحديقة
التي نبتت فيها حبة طماطم وحيدة
تفكّرين بقطافها لإعداد السلطة.
لكن لحظة رؤيتك الوميض
لا يكون تفكيرك قد وصل إلى هذا الحدّ.
ما يسيطر عليك الآن
ليس إلا الرغبة البسيطة
في الخروج إلى الشمس.
أما فكرة الحديقة، وحبة الطماطم،
فستأتي بعد أن تضعي يدك على المقبض،
وحين يملأ البياض النافذة،
تكونين على وشك لمسه،
على وشك أن تفتحي الباب.

Twitter: @ketab_n

الصيد

على شاشة التلفزيون الرمادية
تظهر اللقطات مشوّشة:
خمسة جنود مارينز يُرمَون
من طائرة مروحيّة؛
وردة معلّقة في الهواء
تسقط حبيباتها المزهرة.
صف من الظهور الكاكية،
أكتاف مربّعة،
أقدام الجنود تغوص عميقاً في الوحل
ويلوّحون بالبنادق كقصبات صيد.
ثمة رائحة بارود نفاذة،
رائحة ملح كثير، بينما الأجساد
التي غُرفت من الخندق،

Twitter: @ketab_n

تلقى كأسماك على ظهر سفينة.
هذا كل ما بقي
من فتى من «مريلاند»:
نصف وجهه
وذراعه اليمنى السليمة.
أما الباقي فنثر على سفح تلة،

ثمة صورة في جيب صديريته:
حبيبته مستلقية بثوب السباحة
على غطاء سيارة «كاميرو» جديدة.
تبدو مبلّلة من حوض السباحة الأزرق،
ومن بين أسنانها
تتدلى مفاتيح السيارة،
متلألئة كأسماك صغيرة.

Twitter: @ketab_n

جنيّة الأسنان[1]

غمّسا ربع دولار معدني بالغراء والبودرة البرّاقة،
وانسلا إلى غرفتي، ومن دون أن يوقظاني
رسما خطوات ذهبية رفيعة على ملاءتي
بحبّ صامت جداً
إلى حدّ أنني لا أستطيع سماعه حتى الآن.

لابدّ من أن أمي كانت رائعة الجمال وقتذاك،
كانت تجلس معه في المطبخ،
وكان نسيم دافئ يهزّ ستائرها المطرّزة،
وتنتظرني لكي أغفو.

---

(١) جنية الأسنان: في الخرافات الشعبية يفترض أنها جنيّة تأتي ليلاً وضتع تحت وسادة الطفل قطعة مال معدنية تعويضاً عن سن الحليب الذي فقده الطفل.

Twitter: @ketab_n

يصعب أن أصدّق السنوات التالية؛
راحات الأيدي التي صارت قبضات،
الأرضية المليئة بالأطباق المحطّمة،
تدخينها المتواصل خلال ساعات الصمت الطويلة،
والثقوب التي أحدثتها قبضته في الجدران.

ما زلت أتذكرّ فساتينها الملوّنة،
وبزته ذات المربعات،
واليوم الذي وجدتها فيه مختبئة في الخزانة
وبيدها خنجر،
وتلك الليلة التي ركل فيها أختي على صدرها.

الآن يعيش وحيداً في «أوريغون»،
يحتضر ببطء من مرض في العظام.

وجهه صار رمادياً، وكاحلاه يتجلّطان
تحت جوارب من الصوف.

Twitter: @ketab_n

هي تعمل ممرضة من منتصف الليل حتى الصباح.
تعود إلى البيت في الصباح وتنادي عليّ.
تحتسي جعتها السوداء وتأوي إلى النوم.

وما زلت أتساءل كيف فعلا ذلك،
كيف دسّا تلك القطعة المعدنية تحت وسادتي،
وطبعا تلك الخطوات الكاملة...

كلما زرتها أعاود سؤالها عن الأمر،
فتقول لي وهي تتأرجح على كرسيها وتغمض عينيها:
«لا أعرف... لقد فوجئنا بذلك مثلك تماماً».

Twitter: @ketab_n

ذوبان الجليد

سافرتُ شمالاً في الشتاء
لكي أشاهد من النافذة البحيرة وهي تتجمّد،
لكي أشعر بحدوث ذلك في نومي،
لكي أنتظر بصبر الجليد وهو يشقّ طريقه
عبر الشلالات الصغيرة
لكي يرسي نظامه الخاص،
وكيف يتعطّل كلّ شيء
بين صدعين زمنيين،
ويتجمّد أخيراً في هيئة السقوط.

جئتُ لكي أمشي على البحيرة
أثناء سباتها الشتوي، فوق الأسماك الحزينة،

Twitter: @ketab_n

وفوق أنفاس البحيرة المحبوسة تحت طبقات ذاتها،
لكي أمشي بما تتيحه الجاذبية من خفّة
على جلد البحيرة الكثيف، على لحمها الجديد الزاهي،
لكي تخدّرني الشجاعة والإيمان،
فلا أضطر إلى تحسّس معدة البحيرة الملساء
بل أقفز وأتزلّج على الجليد.

جئتُ إلى هنا لكي أحقّق ذلك،
لكي أنحني في الريح وأتعلّم الوقوف بثبات
بين الماء والسماء،
لكي أتعرّفَ للمرة الأولى
القوة البسيطة للصقيع،
وكيف أنه حتى دماء الأرض المتجلّدة،
لن تخذلني أبداً.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «ما نحمله معنا» (١٩٩٤)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

وقود سريع الاشتعال

(إلى ريتشارد)

قبل عصر الخدمة الذاتية
حين لم تكن مضطراً
إلى أن تضخّ بنفسك حاجتك من الوقود،
كنتُ الشخص الذي يقدّم لك هذه الخدمة،
الفتاة التي تخرج حين يُقرع الجرس
حاملة خرقة زرقاء،
رابطة شعرها إلى الخلف
على هيئة ذيل حصان مستقيم وبشع.
كان هذا قبل القواطع الأوتوماتيكية والأختام البخارية،
ومرة فيما كنت أملأ خزّاناً،
ضربتُ فقاعة هواء محبوس وارتدّ الوقود إلى أعلى،

Twitter: @ketab_n

منبجساً من الفتحة على شكل قوس
في موجة ذهبية لامعة
وغمر السائل وجهي، وصدري، وبطني، ورجليّ.
وكان عليّ أن أهرع إلى حمّام الموظّفين الصغير
المكسور قفله، لكي أغيّر بزتي
وأنزع عن جلدي الثوب المشبّع بالوقود.
خفيفة الرأس، عارية،
شعرت بالذهول والصفاء،
كيف صقل الوقود الكهرماني جلدي، اللسع،
وذلك الألم الخفي الناتج منه،
الوجع واللمعان على جلدي الذي توهّج
كزيت قوسقزحي على الرصيف.
كنت في العشرين،
على بعد أسابيع من الوقوع في غرام الرجل
الذي ينتظر بصبر في مستقبلي
كنبتة حمراء على الرصيف؛
ذلك النوع من الجمال
الذي يتطلّب أن يُرى.

Twitter: @ketab_n

كيف كان لي أن أعرف
أن الأمر سيبدأ على هذا النحو:
كلّ خلية من جسدي
تشتعل بجمال جسيم،
والهواء حولي هالة ضوء
ستحملني عبر الأيام،
وكيف كان لي أن أعرف،
حين وجدني بعد أسابيع،
أنه كان سيجدني على هذا النحو،
امرأة عادية يمكن أن تضطرم فيها النيران
بسهولة شديدة.
وليس عليه سوى أن يقترب منها،
أن يلمسها.

Twitter: @ketab_n

بعد اثني عشر يوماً من المطر

لم أستطعْ تسميته:
ذلك الحزنُ العذبُ
المتدفّق فيّ منذ أسابيع.
لذا وجدتني أقف في غرفة
أحملُ خرقة وأمسح الغبار
بينما الطيور تشدو:
«آن وقت الرحيل، آن وقت الرحيل».
وكعجوز في نهاية حياتها تذكّرته:
صوت رجل لم أكن مغرمة به
عضّ مرةً صدري
وجعل يهمس:
«حمامتي الصغيرة، زنبقتي، زنبقتي البيضاء»
وكدتُ أبكي.

Twitter: @ketab_n

لا أذكر متى بدأتُ بمناداة الجميع:
«حبيبي»
كأنهم جميعاً ابنتي،
كأنهم عصافيري الصغيرة.

لطالما أحببتُ أكثر مما يلزم،
أو ليس بما فيه الكفاية.
ليلة أمس
قرأتُ قصيدة عن الربّ
وكدتُ أصدّقها.

ها هو يحتسي القهوة
ويدخّن التنباك المعسّل.
وقد بلغتُ مرحلة في حياتي
أصدّق فيها
كلّ شيء تقريباً.

Twitter: @ketab_n

هذا اليوم، بينما أملأ خزان سيارتي بالوقود،
وقفت تحت المطر دون أي شعور بالضغينة
وكل العالم استحال صمتاً:
السيارات تمرّ بصمت على الإسفلت المبلّل،
فم عامل المحطّة يُقفل وينفتح على هواء
بينما يتنقّل من مضخّة إلى أخرى،
والمطر يمحو خطواته.
لا شيء سوى الأرقام الصغيرة تمرّ سريعاً
على نوافذ سياراتهم المربّعة،
تهرول الثواني بينما أقفُ هناك
ممسكة خرطوم الوقود بيدي،
والمطرُ يتجمّع في شعري.

وأدركتُ كم أني وحيدة.
وكم لم يعد مهماً
من أحبّني أو من أحببت.

Twitter: @ketab_n

هذا الإسفلت الأسود الملطّخ بالزيت،
وتلك الوسامة البرّاقة
لعامل المحطّة الإيراني،
والغيوم المتكاثفة -
لا شيء من هذا لي.

أدركتُ أخيراً،
بعد «فصل في الفلسفة»،
وألف كتاب من الشعر،
بعد الموت والولادة
وصرخات الرجال الصاخبة
الذين هتفوا باسمي،
أدركت كم أني وحيدة،
أحسستُ ذلك في صميم قلبي،
وسمعت صداه يتردّد كجرس رفيع.
وعادت الأصوات،
العجلات والخطوات،

Twitter: @ketab_n

وكلّ الرقة التي حملوها إليّ قائلين بلى وشكراً.
دفعتُ الأجرة وركبتُ سيارتي
كأن شيئاً لم يكن -
كأن كلّ شيء يهم -
ماذا سوى ذلك أفعل؟

اتجهتُ الى متجر البقالة
واشتريتُ الخبز الأبيض والحليب
ولوحاً من الشوكولا غُلّف بورقة ذهبية،
ابتسمتُ لموظّفة المحاسبة المراهقة
بوجهها المليء بالبثور واسمها البلاستيكي
المعلّق على صدرها الصغير،
وعرفتُ سرّها، خوفها العذب،
تلك العصفورة الصغيرة. العزيزة الصغيرة.
ناولتني بقية النقود، والكيس البني، والوصل الممزق،
ثم دفعَتْ دُرج النقود بوركها،
وبادلتني الابتسام.

Twitter: @ketab_n

غبار

كلّمني ليلة أمس،
وأخبرني بالحقيقة،
لم تكن أكثر من بضع كلمات،
لكنني فهمت.
كان ينبغي أن أجبر نفسي على النهوض،
لكي أدوّنها، لكن كان الوقت متأخراً،
وكنتُ مرهقة من نقل الحجارة
طوال اليوم في الحديقة.
كلمات، أتذكّر الآن مذاقها فحسب،
ليس كالطعام حرّيفاً أو حلواً.
بل أشبه بالبودرة الجيدة، بالغبار.
ولم أذعر أو أبتهج،
لكنني ببساطة انتشيت،

Twitter: @ketab_n

مدركة أن هذا ما يحدث أحياناً:
يأتي الملاك إلى نافذتك،
وهج ساطع وجناحان أسودان،
لكنك لشدّة ما أنت متعب
لا تقوى على فتح النافذة.

Twitter: @ketab_n

متى يمكننا الذهاب؟

متى يمكننا الذهاب؟
ها هي الأغراض جاهزة في السيارة؛
الثلاجة وأكياس النوم؛
أطواق النجاة، والصحف والخرائط.

فقط لو يتوقّفا عن الجدال،
لو تعتذر عن كلامها الذي أغضبه.
أيمكننا الذهاب الآن؟
الأشياء جاهزة في السيارة،
شقيقاتي الخمس يقفن على الشرفة الخلفية،
متشابكات الأيدي كنباتات في إناء،
وهو يقول: «هراء»

Twitter: @ketab_n

وهي تركل حذاءها قائلة:
«إذا كان هذا ما تريده فهذا ما ستحصل عليه»،
زوجة ممتلئة الجسد وثمة دوماً من يرضع.
هناك خفافيش في برج كنيستي، أوردة متسعة،
والأولاد نائمون على الحُصر.

متى يمكننا الذهاب؟
الأشياء في السيارة،
والآن ذهبت الطفلة إلى الحمّام
بسروالها الداخلي،
والكلب يمسكُ القطة من رقبتها
ويعبر بها فتحة في السياج المكسور.
هو، يخلع غاضباً قبعة البايسبول
فيظهر شعره المعقود إلى الخلف.
يقول: «إني راحل. أخرجوا الأغراض
من السيارة».
نستلقي جميعاً ونأخذ قيلولة.

Twitter: @ketab_n

صدّ العالم بالغناء

لا أذكرُ كيف بدأنا بهذا الغناء.
حين كانت «جودي» تقود بنا السيارة
في ما تسمّيه «الرحلة العاطفية»،
كان وجهها متوهّجاً وشفتاها تضجّان بالحركة،
ومن وراء كتفيها كانت سريعاً تمرّ بنا البيوت الصغيرة.
أما «غيري» فكانت مثلها تتلعثم بالكلمات
بينما يطيّر الهواء شعرها المنكوش.
نحن الثلاثة في سيارة زرقاء عائدات إلى الديار
نغني بأعلى أصواتنا - من دون أن نقترب حتى من
إصابة النغمات الصحيحة - أغنيات مثل «سوف أراك»
و«الحب وردة».
أنشدنا أغنيات الحبّ في الحرب.
وأغنيات الحرب في الحب،

Twitter: @ketab_n

خالطات بين كلمات الأغنيات والحقبات والألحان،
مندفعات بكل ثقة كلما وصلنا إلى مقطع سهل،
محاولات التحكّم بحناجرنا التي بلغت منتصف العمر
علّنا نبلغ النغمات الصعبة، علّنا نتذكّر الكلمات الضائعة.
هكذا ودون خجل حوّلنا مقاطع كاملة
من أغنية كول بورتر «كل شيء يزول»
إلى سلسلة طويلة من «لا لا لا لا».
لكنها كانت لحظات نسينا فيها كلّ شيء:
إيجارات البيوت، الأولاد، الرجال، النسوة الأخريات.
الوداع الحزين. عصر الطفولة. الكلب الضائع.
مضادات شلل الأطفال. الطائرات الرمادية الحبلى بالقنابل.
حقول الشواهد البيضاء.
كل هذا صار هباء بينما نحاول تذكّر الكلمات،
فتكمل واحدتنا حيث تتوقف الأخرى. مركزات على الأغنية.
ناسيات أجسادنا، أطرافنا المترهلة، وثقلنا الرهيب.

Twitter: @ketab_n

لم يعد هناك سوى حناجرنا الثلاث
وهي تحاول صدّ العالم بالغناء:
جلسات «لوري» للعلاج بالأشعة،
الندوب على ذراعي «كريستينا»،
شقيق «كيم»، جدة «مولي»، أخت «جاين».
كنا نغني لأعمدة الهاتف التي تمر بنا،
لإشارات السير الخضراء.
وكان الطريق نهراً زجاجياً أسود
تسوّره الأعشاب البرية البرّاقة
والسيارة قارباً يقطّع الهواء
إلى أجنحة ملائكية زرقاء.
بينما نغني: «القمر الأزرق»
و«القمر الورقي»
«ماك السكين»
و: «لا أحد يعرف كم من المشقّات رأيت».

Twitter: @ketab_n

إيجاد ما هو ضائع

أحاولُ أن أكمل قصيدة في رأسي
حين تذكرني ابنتي أنني وعدتها بإيصالها إلى موقف الحافلات.
تنتظرُ بضع ثوان ثمّ تذكّرني بالوقت وبوعدي لها.
أحفظُ السطر الأخير من القصيدة،
وأروحُ أكرره وأنا أبحثُ عن مفاتيحي وحقيبتي.
وحين نصعدُ إلى السيارة ونمضي أبحثُ سريعاً
بين الفواتير والإيصالات عن أي ورقة تصلح للكتابة،
مكررة العبارة الأخيرة نفسها،
وفجأة تؤشّر ابنتي من النافذة وتقول هاتفة:
«انظري، ها هي نبتة الخشخاش التي أخبرتك عنها»،
فأنظر وأرى النبتة التي شقّت طريقها بين حجارة الرصيف.
نتكلم عنها قليلاً بينما ترصد عيناي الطريق

Twitter: @ketab_n

مخافة بروز طفل أو فتى ما على دراجة هوائية،
بينما العجوز الذي يدير صيدلية «ريكسال»
يقفل الأبواب تأهباً للمساء،
والكلب الأجرب يرفع قائمته ويبول على جذع شجرة.
ثم نتكلّم قليلاً عن دروسها وعن صديقها،
وتسألني مجدداً عن العطلة الصيفية
وما إذا كنا سنمضيها في البيت
أم سنسافر إلى مكان ما.
أقول لها إنني لا أعرف وأسألها رأيها،
لكننا نصل عندئذ إلى الموقف،
وتترجّل سريعاً من السيارة
طابعة على غير عادتها قبلة سريعة على خدّي.
وأكتشف فجأة أنني نسيت القصيدة،
أضعتها في مكان ما، تركتها تطير كزهرة البرتقال،
بين البيت وموقف الحافلات.

Twitter: @ketab_n

ما يمكن أن يحدث

ظهراً. يوم سبت ميت.
التلال ترتفع فوق البلدة،
تدفع البيوت والمتاجر نحو الوادي،
ترفس النهر الضحل
وتعيده إلى مكانه.
هنا يستطيع كلب أن ينبح لأيام
ولن يكترث أحد بأمره
أو يرميه بصفيحة فارغة أو صحيفة.

لا أحد يتذمّر.
الرجال يقفون مشتّتين خارج متجر «آيس»،
يتكلمون قليلاً أو يحدّقون بأدوات العدّة الكحلية.

Twitter: @ketab_n

بضعة فتيان يعبرون الحديقة مكشّرين،
الملعب مليء بالفضلات،
ألعاب الأولاد أكثر حراً من أن تلمس.

في بلدة كهذه يسع امرأة على حافة الأربعين
أن تتجوّل في سيارتها القديمة
التي تصدر صوت قعقعة في الخلف،
وقد ألصق أحد مصابيحها بشريط
وأقفل الغطاء الخلفي بحبل مزيّت،
ولن ينتبه إليها أحد.

يمكنها أن تقطع الشارع نفسه
طوال اليوم، متناولة ثمر «البرسيمون»،
متوقفة لدقيقة فحسب مشدوهة
أمام الهندي الخشبي
على مفترق شارعي «سكس» و«بي»،

Twitter: @ketab_n

واجهة المتجر خلف المنحوتة
تحتشد ببضائع جلدية برّاقة
من غواتيمالا، وبطاقات بريدية للبلدة
قبل أن تبدأ بالاحتضار،
قبل أن تصبح شبيهة نفسها.

.

يمكنها التوقف عند الناصية وشراء مشروب غازي
والتريّث قليلاً قبل أن تفتح القنينة.
ثم تضع الزجاج البارد على وجنتها،
وتدحرجها على رقبتها
ثم تدسها تحت قبّة كنزتها الخفيفة
وتدعها هناك لبعض الوقت لكي تخفّف الحرّ.

تمكنها العودة إلى السيارة
وتشغيل المحرك الذي ينطلق كسرب ذباب في قنينة،
تحسّ باهتزاز المحرّك كعربة قطار فارغة.

Twitter: @ketab_n

يمكنها أن ترفع صوت المذياع إلى أعلى درجة
وتقود هكذا طوال اليوم. . .
في الشارع نفسه، الزاوية الحادة نفسها
التي تجعل العدّة في صندوق السيارة
تنتقل من طرف إلى آخر،
أو يمكنها ألا تأخذ المنعطف وأن تمضي قدماً،
المشروب الغازي ما زال بين رجليها،
المذياع ينبض كشريان،
وتتجاوز آخر المتاجر المقفلة والبيوت الجاثمة،
والكنيسة ذات القنطرة البيضاء الباهتة،
وتمضي إلى التلال،
أبعد من ذلك العشّ الظليل
لأشجار «التفيحة» الحمراء.

Twitter: @ketab_n

في سبيل الغرباء

مهما كان وزن الحزن
فإننا مجبرون على حمله.
ننهض ونحشد قوتنا الدافعة،
تلك القوة البليدة
التي تقودنا عبر الحشود.
ثم، وبحماسة شديدة،
يدلّني فتى على الطريق.
وتمسك لي إحدى السيدات الباب الزجاجي
وتنتظرني بصبر حتى أعبر بجسدي الفارغ.
يستمرُ هذا طوال اليوم:
بادرة لطيفة تقود إلى أخرى،
رجلٌ غريبٌ يغني للأحد في الممر.
أشجار تتيح ثمارها،

Twitter: @ketab_n

طفل معوّق يرفع عينيه اللوزيتين ويبتسم.
على نحو ما يجدونني دائماً،
وأشعر حتى أنهم ينتظرونني،
مصمّمين على إبقائي بعيدة من نفسي،
من الشيء الذي يناديني
مثلما ناداهم حتماً ذات مرة،
تلك الغواية بالقفز عن الحافة
والسقوط بخفّة،
بعيداً عن العالم.

Twitter: @ketab_n

مقبرة في وادي «هيرد»

ضريحه مكسوّ مجدداً بالفضلات؛
محارم مجعّدة، ملعقة بلاستيكية،
كوب نايلون أبيض مقلوب، أثر أحمر شفاه لامع
على هيئة هلال على الحافة.
أريد أن أوبّخها على الفوضى التي خلّفتها وراءها،
العشب الذي سُحقَ وكذلك العنب،
لكنني رأيتها تسير نحو الأشجار،
جسدها الفارغ يتقلّص، وظلّها يتبعها.
أنا الدخيلة هنا،
لم آت لأندب جسداً بعينه،
بل لأستريح تحت شجرة،
أصابعي تتحسّس صفوف الرخام المتوهّج،

Twitter: @ketab_n

وسفوح التلال التي تغطّيها الغيوم.
دائماً أتخذ الركن نفسه،
إلى جوار الشاهدة التي حفر عليها «أمي»،
ثم تاريخا الولادة والموت تفصل بينهما شرْطَة،
شقّ وجيز وعميق كاستعارة للحياة.
أتساءل: أتهمسُ شيئاً لمن تحبّ
أم أنها ببساطة تأكل وتنام،
هانئة لساعة فوق سرير عظامه؟
أظنّ أنها تأتي له بالبرتقال والأسرار،
وبرباط يومها الممزّق.
ليس من أحد على هذه التلال أتناول الغداء معه.
إني مباركة. كل الذين أحبهم ما زالوا أحياء.
أعرف أنه لا حياة أخرى،
لكن ثمة هذه الدعة،
ثمة هذا الملاك الغرانيتي بجناحيه المكسوين بالطحلب،
والذي شيئاً فشيئاً صرت أحبّ وجهه وابتسامته الحزينة
التي تشبه الحزن الذي نحسّه بعد ممارسة الحب،
ساعات الخدر القليلة تلك حين لا نحتاج إلى شيء

Twitter: @ketab_n

سوى النَفس والجسد،
بعد أن نحلّق عائدين إلى أنفسنا،
إلى أجسادنا الثقيلة الناقصة
قبل أن يعاودنا ذلك الجوع الرهيب.

Twitter: @ketab_n

إذا كان هذا هو الفردوس

«المرئيّ هو لغز العالم المرئي. . .»
(أوسكار وايلد)

إذا كان هذا هو الفردوس: أشجار، وقفار نحل،
وصخور.
وهذا: قمر أجرد، وشهب، وشمس صغيرة.
إذا في يديك
كان هذا فردوساً: جلدٌ حسّي،
عظام خفية، عيناك تنفتحان،
فلمَ علينا أن نتكلّم إذاً؟
لمَ لا نصعد إلى كل يوم كالحيوانات،
مثلما نحن في الواقع،
ونمضي صامتين

Twitter: @ketab_n

إلى أشغالنا الحقيقية:
صيد الماء، والثمار، ولحم الفطر القليل،
نتعثّر على الأعشاب
التي ترتفع إلى خصورنا
بلا سبب،
نجد ظلاً نرتاح عنده،
وأطرافنا ممدودة
تحت السماء عديمة المعنى،
نجد عطر العاشق، ونتزاوج بوحشية.
إذا كان هذا الفردوس
وكل ما علينا فعله أن نولد ونحيا ونموت،
فلمَ نلتقط العود أصلاً؟
لمَ نرى العجلة في الصخرة؟
لمَ نجلب معنا من الحقول المشتعلة
وعاء مليئاً بالنار
ونزعم أنه سحر؟

Twitter: @ketab_n

مسقطُ الرأس

في مباراة كرة القدم في الثانوية،
كان يتحسّس الصبيان عضلاتهم النامية،
وترطّب البنات شفاههن
بألسنة يفوح منها اللبان أو الكراميل أو القرفة.
ثم يعدن معاً إلى المنازل
في تنانير المشجّعات التي يطوينها لتصبح أقصر،
يتمرنّ على الهتافات،
وتبرز سيقانهن الطويلة العارية في العتمة.
تحت أضواء الملعب
تقف فتاة في رداء الحفل المخملي
إلى جوار السياج المعدني،
وطوق من الزهور يتدلّى بين نهديها.
أبوها الهزيل في بزته القطنية يتكئ على السياج.

Twitter: @ketab_n

بينما تحادث الفتى وتروح تخرج قدمها وتدخلها
في خفّها الأبيض الجديد، وتمرّر أصابعها
على خصلتها المعقودة على الطريقة الفرنسية،
وعلى قرطيها اللمّاعين.
يمكن أن يكونا حبيبين في موعدهما الأول،
هي خفرة بعض الشيء، هو يحاول التأثير عليها
بوقوفه بطريقة لا مبالية.
هذه هي اللحظة
التي ستتعلّم فيها ما ستحبّه: ليلة دافئة،
إحساس النايلون بين فخذيها، الشعرات الناعمة
على ذراعيها تنتصب حين تمر نسمة هواء،
السيارات تستعد للانطلاق،
يميل الفتى نحوها،
ويشمّ الزهور حول عنقها.

Twitter: @ketab_n

التخطيط للمستقبل

لم أكن أتخيّل بأن ابنتي ستبلغ يوماً السادسة عشرة
حتى عادت إلى البيت بسيارة مليئة بالفتية
والبالونات والطعام المكسيكي الجاهز
وكعكة آيس كريم «باسكن روبنز».
بعد أشهر قليلة صار لها صديق
يعتمر على رأسه الحليق قبعة بايسبول
ويضع قرطين ذهبيين دائريين
ويرتدي سروالاً فضفاضاً.
إنهما سعيدان.
بعد دوام المدرسة ينجزان فروضهما معاً،
يتمدّدان على سريرها، ويتركان الباب مفتوحاً
ضمن الحدّ المشروع.
كل سؤال تاريخ يُنجز يستحق قبلة.

Twitter: @ketab_n

يشعران بالخجل من الاسمين اللذين اخترعاهما لبعضيهما،
ومن عذوبتيهما.
في المساء يشاهدان «أم. تي. في»،
يخفضان الصوت ويخطّطان للمستقبل:
الجامعة، ثم الزواج، ثم الأطفال،
وما سيأخذانه معهما: كلبه، فأرها.
أشعر بالسعادة من أجلهما،
مع أني أعرف ما سيحدث،
الهدية الأخيرة، القبلة الأخيرة،
هي جاثمة على سريرها،
يعميها وجعها الشخصي الواضح. وأرى نصب عينيّ
اليوم الذي سترحل فيه، مفاتيح في علاقة،
حقيبة ترتطم برجليها.
وعندئذ يبدأ عمل الأمومة الحقيقي،
مهمة الانتقال، برجاء، إلى كل صباح.

Twitter: @ketab_n

الثانية ظهراً

معاً في تلك المرة الأولى،
على أرضيّة مكتبك،
على السجادة الوسخة،
صرختُ من كلّ قلبي
وبكل ما يحتاج إليه جسدي من عزم،
لأنه في مكان ما من عقلي،
في الأعصاب الأدقّ التي ظلّت قادرة على التفكير
تذكّرت أننا كنا في منطقة المستودعات
التي تبعد أميالاً عن البشر.
بعد ذلك حين بات في مقدوري
إرخاء يدي وفتح عيني، نظرت إلى أعلى.
كنتَ جاثياً على ركبتيك، وذراعاك
متهدّلتان، كنتَ ساكناً جداً...

Twitter: @ketab_n

وكان الضوء المنبعث من المصباح المائل
ينحت كل عضلة مفتولة وناتئة فيك
وأدقّ الأوردة على ظاهر كفّيك.
رأيت سلاسل كل ضلع،
الخفقان الأزرق المجوّف في حلقك،
وحشد الألوان على شعرك الطويل الناعم
المنسدل على وجهك كستارة
في كوخ على جزيرة في جنوبي آسيا.
ومع كل عصب ينحلّ
ويعود إلى مجراه،
تذكرت قصة قرأتها يوماً
تفسّر لماذا تصرخ النساء حين يبلغن الذروة،
إنها صرخة الغازي،
ذلك العواء الذي ينذر بالامتلاك.
وحين نظرت إليك ثانية
وشعرت بصوابية هذه الفكرة،
إذ بدا جسمك كله
مهزوماً، مملوكاً،

Twitter: @ketab_n

وقد اتخذ مظهر عبد في غلال غير مرئية.
وحين تكلمتَ أخيراً لم ترفع رأسك
بل تمتمتَ ببساطة: «يا إلهي».
علمت عندئذ
أنه عليّ أن أكون رحومة عطوفة،
وبالغة اللطف.

Twitter: @ketab_n

التصاق

الضوء يبقّع الظلال بلون أصفر.
نتعرّق ونندفع إلى بعضينا،
نتسلّق بأصابعنا سلالم الأضلاع الزلقة.
وحيثما يتلامس جسدانا
يصير الجلد حياً، حاراً وتواقاً،
وكحيوانات غير مرئية
يتحرّك على صدري ملمسك الناعم.
ما أريده أن أمد يدي ببساطة وآخذه بغير كياسة،
أن ألتهم الخبز البشري القاتم
بيدين جشعتين.
أن ألتهم العيون، الأصابع، الفم،
طفيليات الرغبة العذبة.
مجنونة أنا، رأسي مليء بالنحل،

Twitter: @ketab_n

أترى كيف أضرب الوسادة بغير وعي.
وحين يستسلم جسدي أخيراً
ثم يجرّ نفسه بعيداً، مشبعاً بالملح،
ويتقوّس بوجعه الأخير،
أشعر بامتنان شديد نحوك،
فأعطيك أي شيء، أي شيء.
إذا ما أحببتك، يمكن أن يقتلني هذا القرب.

Twitter: @ketab_n

انحباس النطق

(إلى هونيا)

بعد السكتة الدماغية كان كلّ ما استطاعتْ قوله:
«فنزويلا»،
وهي تومئ إلى الإبريق ذي الحافة الزرقاء الناصعة،
تلك كانت إشارتها الوحيدة.
وحين شرِبت المياه الصافية وأرجعت الكوب
قالت «فنزويلا» ثانية، عربون شكر ربما
أو أن الكلمة أصبحت الآن، ببساطة، تنهيدة
كالسماء على النافذة،
حيث الوسائد تخوم من الغيم تسند رأسها.
تذبل الورود الزهرية
على النّضد قرب سريرها،

Twitter: @ketab_n

وكل بتلة تقع كُسرة
على هيئة بلد لم تزره قبلاً،
ولا عبّرت عن اهتمامها به،
وها هو الآن في كل مكان
في الخوخ الذي يقطر على شفتيها،
في المنديل الأبيض في العلبة،
في أطفالها الذين زاروها،
ليتعمّدوا بأسمائهم الجديدة
بعد كل قبلة.
وليلاً همسته، مخدّرة،
في أذن زوجها الذي مال
عليها ليصغي، يداها تتحسسان
أزرارها، ثدييها،
ترفعهما إلى الضوء كهدية:
«فنزويلا»، تقول.

Twitter: @ketab_n

الوظيفة

(إلى توبي)

حين فقدت صديقتي خنصرها
بين بكرات الآلة الطابعة،
لم أكن قد التقيتها بعد.
لابدّ من أن الجدعة احتاجت إلى أشهر لتشفى،
لكي يعاود الجلد النمو ويلتحم بالعظام،
لابدّ من أنها احتاجت إلى سنوات
قبل أن تتمكّن من الحديث عن الأمر بهدوء،
مثلما تفعل الآن، في مقهى المطار
على فنجان قهوة سوداء.
لا تتذمّر أو تنحي باللائمة على الآلة القديمة،
أو على ضجيج المعمل،

Twitter: @ketab_n

أو على ساعات العمل الطويلة.
تفتح ببساطة يدها المعطوبة وتتأمل الفراغ،
وتقول لي إنها دفعت ثمناً بخساً،
وإن خنصرها المفقود علّمها
أن تكون أشدّ حذراً في حياتها،
حيال ما تمدّ يدها لتلمسه،
أن تبقى متيقظة في صحوها
وأن تصغي،
أن تعير انتباهها
لما يحدث في العالم.

Twitter: @ketab_n

آخر أكتوبر

منتصف الليل. قطّان تحت النافذة المفتوحة
يصدران مواء حلقياً، عدوانياً.
أربض على مدخل بيت الجيران
وأحاول إبعادهما بمكنسة،
أطارد ذيلهما المنتصبين
بينما يطارد واحدهما الآخر بين الأشجار،
مصمّماً على قتله.
أصرخ بهما وأهشّهما بالمكنسة
حتى يستسلمان أخيراً؛
أحدهما يختبئ مرتعشاً تحت السياج،
والثاني تحت سيارة.
أقف بثيابي الداخلية
في الهدوء المرتعش، متذكرة حلمي.

Twitter: @ketab_n

شيء ما قد سرق مني، شيء عديم القيمة،
لا يسترد. كان ثمة شحم وأنصال عشب
عالقة بأخمص قدمي.
كنت أترجف وأتعرّق.
لقد أردت فعلاً أن أقتلهما.
كان القمر طبق عشاء أبيض
كسر بالضبط إلى نصفين.
رأيت نفسي كما أنا:
امراة في الحادية والأربعين، أقف على بلاطة باردة،
عصا المكنسة تنزلق من يدي،
عارية الصدر، شعثاء الشعر،
خائفة مما قد أقدم على فعله.

Twitter: @ketab_n

آلهة صغار

كنت أحسب أبي إلهاً
كجميع الآباء الآخرين في حيّنا
الذين كانوا يأتون محلّقين إلى البيت
مع الطعام والعواصف والمنّ والسلوى
والأنوف الرهيبة.
أما الأمهات فآلهة صغيرة،
هشّات بأثوابهن الرفيعة،
وشعورهن الأشبه بغيمات متعددة الألوان.
أما نحن فكنا مجرد بشر، مجرد بشر صغار،
نحتشد أنصاف عراة كالجراء على الحصيرة،
يغمرنا الضوء الأزرق المنبعث من التلفاز،
ونحاول أن نحسن التصرف.

Twitter: @ketab_n

كنا نراهم بأطراف عيوننا
وأقدامهم الضخمة تحملهم في أرجاء البيت،
أو يجلسون بهدوء
مع فكرة كبيرة وكتاب.
كان يستحيل عليّ تخيّل الأفكار الهائلة
التي تحتشد في رؤوسهم،
وقلوبهم التي تنبض كآلات ثقيلة.
وربما هكذا كان يجدر بالأمر أن يكون،
أن يكون صمتهم ديانة قاسية،
حالة من السمو الأبدي
الذي يستحيل علينا بلوغه.
أما الحيوانات الأليفة التي ربّيتها طوال تلك السنوات:
الفئران البيضاء الهزيلة والطيور المرتعشة، الكلاب ذوو
العيون الخائفة، والقطة التي كانت تحملق بي بعينيها
الخضراوين
مثل معلّم أحمق - فما الذي كنت أعرفه
عن رعب هذه الحيوانات،
وعن أرواحها؟

Twitter: @ketab_n

مثل الطفلة التي كنتها،
كنت أطلق على الحيوانات أسماء وأطعمها،
وأراقبها وهي تكبر
يوماً بعد يوم.

Twitter: @ketab_n

كلّ صوت

وحشية هي البدايات، مثل تلك الحادثة
حيث ترتطم النجوم ببعضها في انفجارات مكتومة
من الغازات الملوّنة، وذلك الضباب والغبار
الذي سيصبح اجسادنا وهي تعبر ثقوباً سوداء،
ثم تنهض مسودّة بسبب الوحل والقطران.
في ذلك الوقت كان يسهل علينا أن نملك أسناناً،
كان لنا مخالب نشق بها الطريق بين الأشجار -
كان ذلك مقبولاً، وكانت القردة التي تحبّنا
تجلس على مؤخراتها الحمراء مصفّقة ضاحكة.
أما الآن فقد نسينا ترف الصمت،
وكيف كنا نجثم عراة على صخرة
تحت قمر كبير لم يمسّ.
الآن نتكلّم بلا انقطاع عن كلّ شيء،

Twitter: @ketab_n

آهاتنا وتنهّداتنا تتحوّل في برهة
إلى حروف دافئة وألفاظ أنيقة.
نقول كلمات مثل «وفرة» و«التهاب» و«أوزون» و«حب».
نحسب أننا نعرف معنى كل صوت.
ثمة أوقات يكون فيها جوابنا الوحيد
على أي شيء رائع أو رهيب يحدث
هو مجرد تنهيدة صغيرة،
ثم نعود إلى حقائق الأشياء،
حين كرة الحياة تتوسّع إلى حدّ الانفجار،
وعندئذ تمتلئ رؤوسنا وصدورنا
بذلك الضوء الأول الذي لا يوصف.

Twitter: @ketab_n

واقع الحال

حبيبي يكره التكنولوجيا
ويكره اضطراره إلى استعمالها: الهاتف
والمايكروفيلم، مكيّف الهواء وراديو السيارة،
وبالطبع إرسال فاكس من وقت لآخر.
يتمنّى لو أنه يعيش في العالم القديم،
يجلس مثلاً على جذع شجرة ناحتاً ملقط غسيل أو ملعقة.
يحلم لو كان خيطاً في جيب جدّه الأكبر،
لو يولد من جديد حاجّاً أو فلاحاً يعزق الأرض.
حبيبي يذهب من وقت لآخر
في نزهة إلى التلال وراء منزله،
ترافقه كلابه مثل سفن بخارية بطيئة.
يفرح هناك بهبوط الشمس البطئ البسيط،
وبالآلية المعقّدة لجسده الخاص.

Twitter: @ketab_n

وكنت سأحبه في أي حقبة، في أي عصر مظلم.
كنت أخذته إلى الغروب وطرحته هناك،
ومسّدت شعره وجعلته يجثو على ركبتيه.
لكن كما هو واقع الحال اليوم، في نهاية القرن العشرين،
ها أنا جالسة على كرسيّ المطبخ
أضع المفاتيح في حُجري،
وأضغط على الزر الأسود في المجيب الآلي
مصغية مرة بعد مرة إلى رسالته.
صوته يأتيني عبر الشريط الممتد خارج نافذتي
حيث تجثم عصافير وتحملق إلى الشارع في الأسفل،
وأفكّر أنني حتى في المستقبل البعيد، وفي الكون الأبعد،
كنت سأميز صوته الواهن
كضوء نجمة صغيرة مجهولة.

Twitter: @ketab_n

مذياع يوم الأحد

من نافذة زوجي أسمع امرأة تغني بصوت منخفض،
أغنية يفترض أن تينع عند سماعها آلاف القلوب.
زوجي، مستوحداً، يرافق الأغنية،
مشتتاً الكلمات والنغمات، إنما محتفظاً باللازمة.
هذا أصعب ما في الزواج: تلك المعرفة. تشذيب الزهور،
تلك المعرفة. إزالة الأوراق الميتة.
أقف على الدرج لكي أستمع إلى صوته
الذي انقطع فجأة، قبل أن يستأنف الغناء.

Twitter: @ketab_n

موسيقى كافية

أحياناً حين نكون في رحلة طويلة بالسيارة
ونكون قد تكلمنا بما فيه الكفاية
واستمعنا كفاية إلى الموسيقى
وتوقفنا مرتين على الطريق،
مرة لنتناول الطعام، وأخرى لنتأمل المنظر،
نجد أنفسنا نقع في إيقاع الصمت هذا،
ذلك الإيقاع الذي يمتد بيننا
كرداء فوق بحيرة.
ربما ما لا نقوله
هو ما ينقذنا.

Twitter: @ketab_n

القبلة

قبلةُ عاشقين على مقعد الحديقة،
على حافة السرير القديم، على باب البيت،
أو في الكنيسة.
قبلة عاشقين بينما الشوارع تغصّ بالبالونات
أو الجنود، بالجراد أو بالأوراق الملوّنة،
بالغبار أو الماء أو النيران.
قبلة عاشقين على امتداد العصور
تحت الشمس أو النجوم،
تحت الأشجار الميتة،
أو المظلات، وبين الأطلال.
قبلة عاشقين بينما يحمل المسيح صليبه،
وينشد غاندي الخُطب،
وتشقّ رصاصة الهواء

Twitter: @ketab_n

إلى قلب طفل رائع.
قبلة طويلة، عميقة، فسيحة،
تستكشف صمت الفم،
تجوع إلى نبض الحياة.
لا تتوقّف قبلة العاشقَين
حين ترتطم السيارات
وحين تسقط القنابل،
وحين يبكي الأطفال
لحظة خروجهم إلى الهواء الأبيض،
حين ينحني موزارت فوق حسائه،
أو يميل ستالين فوق حديقته.
لا شيء يمكن أن يوقف العاشقين
عن هذه القبلة،
عن أن يبدآ هذا العالم من جديد.
لا شيء يمكن أن يوقفهما.
قبلة طويلة، عميقة، فسيحة،
قبلة تورّم الشفتين،
تجعل اللسان يندفع كالمجنون

Twitter: @ketab_n

وراء عذوبة الريق.
أريد أن أصدق أن العاشقين يتبادلان هذه القبلة
أملاً بإنقاذ العالم،
لكنهما لا يفعلان ذلك.
كل ما يعرفانه الإلحاح والحاجة،
حين يلتصق وجهاهما كزهور مسحوقة
ثم يرتدّان ثانية.
يغطّيان الأسنان. يفعلان ما عليهما فعله
أملاً بالنجاة من الأسوأ.
يكتمان الكلمات القاسية،
يموتان بسبب خطايانا.
في هذا العالم المحطّم
يمارس العاشقان هذا الفعل البسيط الكامل.
يتعانقان.
يتبادلان قبلة فحسب.

Twitter: @ketab_n

أوفيليا على ضفة النهر

عالم مسكين، بأشجاره الحزينة
وقدوره الفارغة، بأغنياته المكسورة
وذكرياته الممزقة،
والضوء الذي ينسكب كمياه برّاقة من نجوم
ميتة من وقت طويل.
عالم تقف فيه الشفقة على ناصية شارع
معتمرة قبعة مسحوقة، وقد امتلأت راحتاها بالمطر،
حيث يطوف العشاق كالأشباح
عبر قمر المقبرة الرمادي صارخين:
أين ذهبتم؟ ماذا سنفعل؟
عالم متعب، دودة شاحبة تتلوّى
في منقار طائر أسود،
عالم أرهقته الزلازل والبراكين والفيضانات،

Twitter: @ketab_n

عالم تصطفق فيه النجوم كالشعل
بصخور بالغة الجدية،
وتلتهم الشمس ثقباً في السماء.
من أمكن أن يحبّك أكثر،
أيها العالم الحزين
الشارد في بحر من النجوم.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «دخان» (٢٠٠٠)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

قلب

لا يني يبدّل القلب شكله:
يتحوّل من طائر إلى فأس،
ومن عجلة هواء إلى غصن مثمر.
يتقلّب داخل الصدر
كدبّ بني خدّره الشتاء،
أو كطفل يقفز في مهرجان،
متوقفاً تحت ظلة كشك الألعاب النارية،
أو عند خيمة السيدة السمينة،
أو عند كشك «الهوت دوغ».

أو أنه غرفة شاغرة
ينتظر فيها أشباح الموتى،

Twitter: @ketab_n

مقلّبين صفحات المجلات،
لاحسين إبهامهم.
ينهض أحدهم،
يدخل باباً يقود إلى متاهة من الأروقة.
وراء أحد الأبواب غرفة مليئة بالأوركيديا،
وراء آخر رائحة خبز «توست» يحترق.

وتتوالى الغرف:
غرفة الخياطة بصرير ماكيناتها وإبرها الملتمعة،
غرفة الملفات والستائر الممزقة،
غرفة تطنّ فيها ألف ذبابة سوداء.

ثم يوصد القلب أبوابه
يصير دخاناً، كذبة هشّة، يتكوّر كدودة
وينسى حياته،
يغوص في جحره القذر.

Twitter: @ketab_n

قلب يدخل في منعطف خاطئ.
قلب محبوس وراء بوابته الشوكية.
قلبه يضمّ يديه في حضنه.
قلب قارب أزرق يفرّق حرير البحيرة.
يفعل ما يريده،
يأخذ ما يحتاج إليه،
يأكل حين يجوع،
ينام حين تقفل الروح أبوابها.

حين يضجر القلب ليلاً يشاهد الأفلام،
يقف وراء النافذة ويعدّ أعمدة الإنارة،
واحداً بعد الآخر.
قلبٌ يفتح ثغوره المائة.
قلبٌ يغمض عيونه المائة.
قلبٌ الهارمونيكا، قلب الزخرفة، الحماسة،
قلبٌ الإسمنت، السن المكسور، السياج الخشبي.
قلبٌ الطوب والألواح الخشبية،

Twitter: @ketab_n

قلب الكتب المرتّبة في صفوف متفانية،
لا يقرأ من كثرة الغبار.
قلبٌ ممتلئ اليدين.
قلبٌ هيروغليفي، يحفر بعمق في لوائح التاريخ.
قلب «البلوز» الحزين.
قلب فتى الكورس.
قلب الرداء الرث.
قلبٌ يرفع قدميه عالياً ويقرأ السجلات.
قلبٌ مشرّد
يقف مستنداً إلى مستوعب قمامة.
قلب شرطي في حمّى العمل
يقرع بهراوته السوداء
على غطاء المستوعب.

Twitter: @ketab_n

الحياة رائعة

. . . وضئيلة، ومفيدة،
وإن لنفسها فحسب.
خذ الذبابة مثلاً،
ملاك المنزل العادي،
تضع بيوضها الساطعة في القمامة،
ثم رقيقة تخرج كل جوهرة
على قشرة «توست» بالزبدة.
وبعد أن توضع في أكياس الفضلات
تنتقل إلى أقرب مستوعب قمامة
حيث تحتشد ذبابات أخرى،
مغنية فوق أوراق الصحف المبقّعة والفاكهة العفنة،
راقصة الباليه في الهواء،
متشابكة على الشفرات المتطاحنة
للآليات الثقيلة.

Twitter: @ketab_n

حياة تطنّ.
بينما داخل الأكياس المسحوقة
يرقانات صافية البياض
تتلوى خارجة من صدع لامرئي،
ثقب كالدمعة يقطر كائناً حياً
إلى التربة العميقة.

تمرّ الأيام الدافئة، تأتي النوارس صاخبة،
تتدبّر الفئران أمرها في الجحور،
وتهجر القطط المنزلية التائهة صغارها
من أجل قضمة من اللحم الممزّق،
الكلاب الشاردة تطوف الحقول المفتوحة،
متشمّمة الحواف العابقة،
زينة من العظام واللحم الممزّق.
واليرقانات تتقلّب في الوسط،
تينع قشورها أغشية رفيعة،
أجنة تسودّ وتتقلّب في الداخل،

Twitter: @ketab_n

أجنحة رطبة ملتوية،
الهواء المفتوح حاد ومستعد لاستقبالها
في تقزّحها اللوني الخصب.

وهكذا، من ضيوفنا المنزلية،
يولد كيس جواهر جديد لهذا العالم.
تعالوا يا أطفال المطبخ المغمور بالشمس،
قد غطّ ذووكم في النوم على إفريز النافذة
وقد استرخت أجنحتهم في عشّ الزجاج.
في كلّ مكان حياة رائعة
ترشح من فضلاتنا؛
شوارعنا تعجّ بالشباب البشري،
أسراب حمام تطير
فوق الأشجار المثقلة بالسناجب.
إذا كان من هدف، فربما هنالك الكثيرون منا ليروه،
مع أننا نستطيع، ولو عن بعد،
سماع الطنين الخامل لصناعة الأنسال،

Twitter: @ketab_n

والإحساس بعجلتها الحسية
توقظ النار في داخلنا،
دافعة العالم قدماً إلى حافته الرثّة،
مندفعة كنهر هائج
إلى الوفرة والفوضى العفنة.
يا لهذه الوفرة.
إننا متخمون.
متخمون ورائعون.

Twitter: @ketab_n

آه، المياه

أنتِ بطلة هذه القصيدة،
التي تنحني على الليل
وتمشي كتفاً إلى كتف مع النجوم،
مدخّنة سيجارة
أقسمتْ على أنها ستكون الأخيرة
قبل أن تضع الأطفال في الأسرة.

أو أنك آخر عاملة في الطابور،
تحملين الأقفاص على رصيف الميناء،
ذراعاك الأسمران عاريان حتى المرفقين،
قميصك يفوح
عشب البحر والصابون.

Twitter: @ketab_n

والإحساس بعجلتها الحسية
توقظ النار في داخلنا،
دافعة العالم قدماً إلى حافته الرثّة،
مندفعة كنهر هائج
إلى الوفرة والفوضى العفنة.
يا لهذه الوفرة.
إننا متخمون.
متخمون ورائعون.

Twitter: @ketab_n

آه، المياه

أنتِ بطلة هذه القصيدة،
التي تنحني على الليل
وتمشي كتفاً إلى كتف مع النجوم،
مدخّنة سيجارة
أقسمتْ على أنها ستكون الأخيرة
قبل أن تضع الأطفال في الأسرة.

أو أنك آخر عاملة في الطابور،
تحملين الأقفاص على رصيف الميناء،
ذراعاك الأسمران عاريان حتى المرفقين،
قميصك يفوح
عشب البحر والصابون.

Twitter: @ketab_n

أنتِ الأخت الكبرى لأم متعبة
وأب لا رجاء منه،
أخت الحجارة
التي ترشق في دربك.
أنتِ الأخ
الذي يدفّئ قنينة أخيه،
الذي تغفو ذراعه على السرير.

وقفنا قربك في طابور السوبرماركت،
رأيناك تقلّبين صحف «التابلويد»
أو تتأملين «دليل التلفزيون»
كأنه القمر،
عربتك مليئة بالحبوب وعبوات معجون الأسنان،
بالشامبو والخبز البائت،
بالفواكه المعلّبة،
والبيتزا المجلدة في التنزيلات.

Twitter: @ketab_n

في السيارة قد تضعين شريطاً،
تستمعين إلى «فان موريسون»
وهو يغني «آه، المياه».
تقفين عند الإشارة وتدندنين معه،
وحيدة.

حين توقفين السيارة أمام البيت،
وتخرجين مبعثرة البقالة، وموقعة المفاتيح،
فلابدّ من أنك حبّ بعضهم،
أنت أملهم الوحيد الشجاع؛
وإذا لم يهرعوا لتحيتك أو مساعدتك
على حمل الأغراض،
فإنهم يسمعون صوت خطواتك،
يعرفون أنك عدتِ إلى البيت.

Twitter: @ketab_n

قصص عائلية

أحببتُ أحدهم مرة
كان يخبرني قصصاً عن عائلته،
وكيف كان يمكن أن ينتهي شجار
بأن يحمل أبوه
كعكة عيد الميلاد المضاءة
ويرميها من نافذة الطابق الثاني.

فكّرتُ أنه هكذا تكون العائلات الطبيعية:
الغضب يحلّق من النافذة
ليحطّ في الأسفل
كهدية تزيّن الرصيف.

Twitter: @ketab_n

أما في عائلتي
فلم يكن هناك سوى القبضاتُ الملوّحة
واللكمات المباشرة على المعدة،
ولا أحد يسامح أحداً على الإطلاق.

لكن في قصصه تلك
صدّقت أن الناس يحبّون بعضهم حقاً،
حتى حين يصرخون ويركلون الأبواب،
أو يحملون كرسياً كزجاجة شمبانيا
ويحطّمونه بالجدار.

قلتُ له إنه ليس بمؤذ، ذلك الغضب
الشغوف، والمعقّد والمأساوي.
قال إن هذه لعنة
أن يكون المرء كاثوليكياً من أصل إيطالي،
وكان ذلك حين أطلّ وقتذاك من النافذة
وكلّ ما رآه كان شيئاً يتحطّم بقسوة.

Twitter: @ketab_n

أما ما رأيته
فكعكة ميلاد رائعة من ثلاث طبقات
تسقطُ وتتفتّح كزهرة على الرصيف،
الشموع تتكسّر،
أو تغوص في الكريما،
لكنّها تظل مشتعلة
رافضة أن يطفئها شيء.

Twitter: @ketab_n

زوجة عامل السفينة

أشدّ لحظات حبي له
حين يعود إلى البيت من العمل،
أصابعه ما زالت مكورة من تركيب الأنابيب،
قميصه متجعّد من العرق،
ويفوح منه الملح وأعشاب المحيط الميتة.
أذهب إليه حيث يجلس على حافة السرير،
جبينه متسخ بلطخات الشحم،
يداه المنهكتان بين فخذيه،
أفك جزمته ذات الطرف الفولاذي،
وأمسّد كاحليه، ربلتي ساقيه، وعظام قدميه.
ثم أشقّ قميصه
وأبدأ بامتصاص اليوم كله إلى داخلي -
أضلاع السفينة الرمادية، الأنبوب النحاسي الطويل،

Twitter: @ketab_n

صراخ المشرف على العمال،
شرارات الرصاص وهو يقبّل الحديد،
الكلاّبات، الرافعات، نار المشعل البيضاء،
وصفير الأذنين
خلال الرحلة الطويلة إلى البيت.

Twitter: @ketab_n

محاولة إيقاظ الميت

انظر إلي.
إنني أقف على شرفة منزل في وسط «أوريغون».
وثمة أصدقاء في الداخل.
هذا ليس منزلي، وأنت لا تعرفهم.
لكنهم يحتسون الشراب، يغنون
ويعزفون على الغيتارات.
وأعرف أنت تحبّ هذه الأغنية، «أوفيليا»:
ألواح خشب على النوافذ،
بريد ينتظر على الباب...
أغني معهم همساً
بحيث لا يحسبونني مجنونة.
فهم لا يعرفونني جيداً.

Twitter: @ketab_n

أين أنت الآن؟ أشعر بالحمق.
أحادث الأشجار، ووريقاتها
التي تتطاير في الهواء الأسود،
أحادث النجوم التي تشبه القلوب
التي تومض وتختفي في الظلال،
أحادث القمر المقفر نصف المضاء،
العالق كفأس بين الأغصان.

أيّ شيء أنت الآن؟
هواء؟ ضباب؟ غبار؟ ضوء؟
أيّ شيء؟ أعطني إشارة.
يجب أن أعرف
إلى أين أرسل صوتي.
أعطني وجهة ما. هدفاً ما.
حبي يحتاج إلى موطئ قدم.
قل شيئاً. كلّي إصغاء.
إنني مستعدة لأصدق حتّى الأكاذيب.

Twitter: @ketab_n

قل «شجيرة تحترق». قل «حجراً».
لقد توقّف الأصدقاء عن الغناء
وعليّ الذهاب حقاً.
لذا قل لي، بسرعة. إنه أبريل.
وأنا في شارع «سبرينغ».
تلك سيارتي الرمادية
التي على جانب الطريق.
إنهم يضحكون ويرقصون.
وقد يأتي أحدهم في أي لحظة.

إنني ألوّح.
أعطني إشارة إذا كنتَ تراني.
لا أحد سواي هنا
يجثو على ركبتيه.

Twitter: @ketab_n

كيف ومتى سيحدث ذلك

ها أنتِ،
منهكة من ليلة أمضيتها باكية،
تتكوّمين على الكنبة،
على الأرض، قرب السرير،
وأي مكان تقعين عنده، تقعين باكية،
نصف مندهشة مما يسع الجسد فعله،
معتقدة أنه لم يعد في مقدورك البكاء أكثر.
وها هي الأشياء:
جورباه، قميصه،
ملابسك التحتية وقفازاك الشتويان،
كلها في كومة كبيرة قرب باب الحمام،
وها أنت تقعين ثانية.
ذات يوم، بعد سنوات من الآن،

Twitter: @ketab_n

ستكون الأشياء مختلفة،
سيكون البيت، لمرة، نظيفاً،
وكل شيء في مكانه،
النوافذ تلمع، والشمس تدخل بسلاسة،
وتنزلق لمّاعة على الأرضية الخشب.
ستكونين هناك تقشّرين برتقالة
أو تتفرّجين على طائر
يحلّق من حافة سطح البيت المجاور،
ملاحظة كيف يقف لبرهة
معلقاً في الهواء،
برهة واحدة قبل أن يستجمع
إرادته ويبسط جناحيه ثم يفعل ذلك:
الطيران.
ستكونين هناك تقرأين،
ولبرهة ستكون هناك كلمة لا تفهمينها،
كلمة بسيطة مثل «الآن» أو «ماذا» أو «هو»
وستتفكّرين فيها ملياً كطفلة تكتشف اللغة.
ستقولين «هو» مراراً حتى يصبح لها معنى،

Twitter: @ketab_n

وعندئذ تحين اللحظة
التي تقولين فيها، للمرة الأولى، وبصوت مرتفع:
«هو» ميت.
«هو» لن يرجع.
وستكون المرة الأولى
التي تصدّقين فيها ذلك.

Twitter: @ketab_n

مشعل الحرائق

(إلى ابن أختي رايموند)

منذ الصباح وهو يشعلُ صندوقاً
كاملاً من أعواد ثقاب «سايفواي»،
تلك التي نقشت عليها وجوه الرؤساء
بالأحمر والأزرق والأبيض.
لا يرضيه عود واحد كل مرة.
يحبّ أن يضع الرزمة كلها في المنفضة
ويشعلها دفعة واحدة،
الشعلة على بعد
أقل من إنش من أصابعه
بينما يحترق آباء الأمة.

Twitter: @ketab_n

لا تعنيه الديموقراطية،
أو حتى الفوضوية،
أو الرسالة التي داخل كل رزمة
التي تعده بالالتحاق بمعهد فنون
بنصف الرسوم إذا ما أكمل رسم وجه امرأة
وقام بإرسال الرسم.
يحترق عنوان الشارع،
والرمز البريدي ورقم الهاتف، وتواريخ ميلاد
ووفاة الرؤساء، ووجه المرأة غير المكتمل.
أخشى أن يفعل ذلك حين لا أكون متواجدة لأمنعه
من إشعال الستائر والكنبة.
يشعل عوداً بعد الآخر،
منشئاً حريقاً صغيراً على طاولة المطبخ.
أظن ينبغي أن أخبره
حكاية بروميثيوس والنسر والنيران الضارية
التي تشتعل الآن على تلال أوريغون.
أريد أن أقوم بما يفترض بي القيام به،

Twitter: @ketab_n

أن أبثّ الخوف فيه،
لكن وجهه يلمع،
يتوهّج قوة،
ولا أستطيع إبعاد عينيّ عن الوهج.

Twitter: @ketab_n

الكتب

تقفين على سلّم الثانوية.
للمرة الأخيرة ينغلق الباب الدوار وراءك.

لن تكون آخر مرة
تسمعين فيها مجاملة الزميلات أو ذمهن
أو الثرثرة حولك،
لكنها آخر مرة تقفلين فيها خزانتك،
وسحاب حقيبتك الرياضية،
وترتدين سترتك القديمة وحذاءك الضيق.

Twitter: @ketab_n

أوشكت على الانتهاء من هذا كله:
اللبان، والنميمة، والوقوع في غرام فتى
يجلس في الخلف،
تواريخ القطن والحروب،
قصاصات الغش،
التأخّر عن المدرسة،
علم المياه،
الأرقام المفردة
والكسور المركّبة.

لا تعرفين هذا بعد
لكن أكثر ما ستفتقدينه هو الكتب،
الكتب الثقيلة الفوّاحة البالية
الصفحات المشحّمة، الشفيفة، الثخينة
عند الأطراف بفعل آلاف الأصابع السابقة.
ما ستتذكرينه هو الفرح الأبكم

Twitter: @ketab_n

للتلعثم في فقرة كاملة
إلى درجة أنها تحدث قرعاً في رأسك
يغمر صوت الأستاذ وجرس الاستراحة.

لقد سرقتِ من المكتبة كتاب
«شجرة تنبت في بروكلين».
تضعين يدك في الحقيبة
لكي تتحسّسي حرارته:
شيء مسروق، مأخوذ إرادياً،
مع إدراك تام للخطأ والصواب.
تنعتين نفسك بالسارقة.
لكن ثمة أمور أسوأ، تفكّرين،
بينما تتحسّسين الغلاف،
متتبعة كالعمياء حروفه النافرة.
هذا كل ما تحتاجين إليه
لكي تخطي خطوتك الأولى إلى الشارع

Twitter: @ketab_n

وتنضمي إلى أشخاص
قد تنكشف حيواتهم عند لمستك.
تتبعينهم إلى ضباب العالم،
إلى المرأة المجهولة
التي ستكونينها ذاتي يوم.

Twitter: @ketab_n

يعاودني الموت، فتاة...

يعاودني الموت:
فتاة في قميص تحتي قطني، حافية القدمين، مقهقهة.
تقول لي: «ليس الأمر رهيباً إلى هذا الحدّ،
ليس مثلما تحسبينه، مليئاً بالعتمة والصمت.
ثمة أجراس الريح ورائحة الحامض،
وفي بعض الأيام تمطر،
لكن غالباً ما يكون الجوّ جافاً وعذباً.
أجلس على عتبة السلّم
الذي شيّد من الشعر والعظام
وأصغي إلى صوت الأحياء».
تنفض الغبار عن شعرها. تقول:
«أحبّ أصواتهم
لاسيما حين يتقاتلون، وحين يغنّون».

Twitter: @ketab_n

دخان

من يفكّر في التخلّي عنها،
الجذوة عين قطة في الغرفة المعتمة،
وليس من أحد هنا سوى أنت وسيجارتك،
والنافذة التي صدّعها صخب الشارع،
والصرخات البعيدة للأشياء الحية.
وحيدة أنت، وآمنة تقريباً،
والدخان يتسلّل الدخان بين الحافة والزجاج،
ويبتلعه ليل لا تجرؤين على دخوله،
عيناه الثملتان تسبحان بالغيوم.
في مكان ما مستوعب قمامة مفتوح بمخالب آلة سوداء.
على امتداد الشارع ينفتح شيء في داخلك، ويقفل.
صراخ مشؤوم، أزيز هوائي،
قمامة تدوّي في الأنبوب: متروكات وفضلات.

Twitter: @ketab_n

لا تقلّبين التلفزيون أو الراديو،
ما يمكن أن يكتم هدير السيارة لحظة انطلاقها،
وفي الصمت الذي يسبق ذلك،
تتحوّل إشارة السير من الأخضر إلى الأحمر،
هزء الخطوات، انكشاط النفس، نفسك،
الذي يصير أخفّ وأخفّ
بينما تتنشّقين الهواء.
لا موسيقى لوشاح الدخان الملتف حول كتفيك،
الذي تزحف أنامله إلى أسفل عنقك،
ليس من أغنية خفيفة بما يكفي،
سلسة بما يكفي،
قادرة على التسلّق عالياً بما يكفي،
ثم الارتفاع والاختفاء.
معول الموت يصرّ على الرصيف،
وعلى الصدوع اليدوية،
ويتزلج على الشحم إلى المجارير المليئة بالمطر،
يحفر، يدسّ أنفه المعقوف بين الأعشاب التالفة،
يمكنك سماعه يشق طريقه عبر الشارع،

Twitter: @ketab_n

خائضاً في النفَس الأخير الذي مرّره عبر أسنانه
قبل الابتلاع: نفَس القطة التي ركلت إلى حافة النافذة،
لهاث المرأة الحاد، النحيب العميق لطفل يرتعش.
لا يمكنك إطفاء هذا كله،
لا يمكنك إخماد الضوء وترك الليل يدخلك،
دعيه يحفر طريقه عبر أصغر ممراتك.
لذا تصغين وتصغين وتدخّنين وتتمتمين الأدعية،
تمتصّين عميقاً نعمة العيش،
نافخة الهالات والأشراك والخواتم،
وتنعقد سلاسل الدخان الزرقاء حول رأسك.
ثم تسحبينه ثانية، الدخان الذي بلون الأوردة،
وتنفخينه نحو سقف لا ترينه
حيث يتريّث كعذوبة لا يمكنك حملها،
كالشبح سيأتي الليل.

Twitter: @ketab_n

سلّم إلى السماء

سبع ساعات مضت على بداية الرحلة.
السيارة محتشدة بالغيتارات الكهربائية
ومكبرات الصوت الصغيرة، والمزالج وقصبات الصيد،
وبنسخ قديمة من مجلة «تراشر».
و«راي» يقود الآن بسرعة قصوى
بعد أن تولى القيادة عن «دان»
عند الاستراحة الأخيرة.
أراهما في لحظة وهما يتفّننان في إطلاق السباب
من نافذة السيارة،
ثم ها هما نائمان يحلمان،
وقد تكوّرت أصابع أيديهما وأرجلهما العارية،
وارتمى رأساهما الأصلعان
على المقاعد الممزقة.

Twitter: @ketab_n

أما الآن فـ«دان» يقرأ،
و«راي» ينظر إلى النهر،
مبدّلاً محطّات الراديو
حتى يسمع مقطوعة «سلّم إلى السماء» فيتوقف
وينظر إلينا فاغراً فمه
دلالة على الحظ الرائع.
في صمت تام نسمع ذلك العزف المنفرد على الغيتار،
بينما القمر يبسط وحشته في السماء
والقطار يمضي ببطء
على السكة الحديدية الموازية.
«راي» ينظر إلي بعينين مشرقتين، قائلاً:
«ألا يسبب لك هذا المقطع القشعريرة؟»،
نومئ برأسينا موافقَين،
ثم يعود كلّ منا إلى عالمه.
في عالمي الخاص،
أبكي على كل فتى
يملك ما يكفي من الشجاعة
لكي يُفتَن،

Twitter: @ketab_n

لكي يشرّع قلبه لنغمات موحشة كهذه،
لكي يجلس بمثل هذا الصمت
مستسلماً أمام حزن الأنغام.
الجبال تنتظر لتبتلعنا جميعاً:
فتاة وحيدة وصبيّان صامتان،
يستمعون
إلى حزن يدعى الحب.

Twitter: @ketab_n

سيمفونية الوداع

أحدهم أحبّه يحتضر،
لذا حين أشغلّ السيارة
وأشرع بإخراجها من المرآب تحت الأرض،
وينطلق الراديو صاخباً فجأة
بسيفونية «هايدن»
التي تتكرّر لازمتها ويتلاشى صوتها
بينما أناور السيارة عبر الأنفاق المعتمة
خفيضة السقوف، تابعة السهام الصفراء
على الجدران الإسمنتية الرمادية،
أفكّر فيه وهو يمضي ببطء
في أيام حياته الأخيرة الكالحة
ولا يسعني التوقف عن البكاء.

Twitter: @ketab_n

حين أصل إلى كشك دفع الرسوم أجدني مضطرة
إلى التوقف عن التفكير فيما أبحث في جيوبي
عن آخر القطع المعدنية،
ناظرة إلى الموظّف غير المبالي في بزته الزرقاء،
الذي يلتفّ شعره الأبيض
كالدخان حول عنقه السمراء،
أشكره كالبلهاء
وأقود سيارتي إلى ضوء الظهيرة الساطع.
كلّ شيء رمزي بشكل شنيع
وكلّ شيء يذكّرني بالسرطان:
شاحنة «الشفرون» وهيكلها الدائري
الملطخ برمل الطريق ورشح مطر الليلة الفائتة،
مستوعب القمامة أمام محل الزهور،
غطاؤه الذي تبرز منه باقات أعراس ميتة..
حتى رائحة شيء بسيط كقهوة
تنبعث من باب مقهى مفتوح
وعيناي تترقرقان، تتألمان في محجريهما.
ومنذ أشهر

Twitter: @ketab_n

لم أطلب شيئاً سوى نعمة الغفلة،
أن أتنقّل ببطء بين غرف منزلي الصغير
مغمورة كلياً بالنسيان.
أن أتناول الفشار ولا أتذكّر صديقي،
وقد بات هزيلاً وشاحباً، وغير قادر على الهضم.
ألا أتخيّل الأورام
تنضج تحت جلده،
ذلك الجلد الذي قبّلته، ومسّدته بأناملي،
وضغطت عليه ببطني ونهديّ، وفي بعض الليالي
حسبت بقوة أنه يمكنني دخوله،
أن أفتح ظهره كباب أو ستارة
وأن أنسلّ كسمكة صغيرة بين أضلاعه،
أن أمسّ دماغه بشفتيّ،
وبحرير ذيلي المحزّز
ألامس أحشاءه الزرقاء.
الموت ليس رومانسياً.
إنه يحتضر،
وليس مهماً شعوري تجاه ذلك

Twitter: @ketab_n

ولا رأيي به، هذه هي الحقيقة مطلقة،
أحادية البعد، الحقيقة التي لا تقاس،
نوتة سوداء على مدوّنة فارغة.

قدماي باردتان، لكن ليس بقدر قدميه،
وأمقت هذه الموسيقى
التي تغمر الزوايا الضيقة داخل سيارتي ورأسي،
التي تبطئ سير العالم بعظمتها المتوهّجة،
وتحوّل كل ما أراه أمامي
نصباً تذكارياً للحياة،
مهما يكن هذا النصب قبيحاً أو بليداً. .
حتى سيارة «الفورد» القديمة قبالتي،
ذات المؤخرة المنحدرة الصدئة،
التي تضخ غيوماً كلاسيكية من الدخان الأسود
إلى الهواء الساطع،
حتى نباتات «أبو خنجر»
التي تتسلق السياج،

Twitter: @ketab_n

تزهر وتعترش بالتفاهة
وتتدفّق الموسيقى صعوداً من براعمها المفتوحة،
عابرة آخر حواف الزرقة إلى البحيرة الساكنة
لمجرّة أخرى،
كأن كل هذا الفراغ
ليس إلا فضاء من الوفرة،
وجهة ما،
أو طمأنينة
يمكننا الصعود إليها.

Twitter: @ketab_n

راي في الرابعة عشرة

بورك هذا الفتى الذي ولد بوجه قوي
يشبه وجه أخي الأكبر، الأعزّ على قلبي،
الذي كنت أمسك يده
ونقفز معاً من سقف الملعب.
وفي أماسي الجمعة كنا نشاهد معاً «توايلايت زون»
ويسمح لي بأن أحمل وعاء الفشار،
بينما نشاهد المسلسل المخيف
تحت ملاءة تصل إلى أكتافنا،
ويقول لي: «لا تخافي».
ولم أشعر قط بالخوف برفقة أخي الأكبر
الذي كان يسمح لي بتحسّس عضلاته
التي بحجم كرة بايسبول،
الذي كان يحملني على ظهره

Twitter: @ketab_n

ويركض بي في الحيّ الموحش،
الذي ظلّ يمسك لي دراجتي الهوائية
حتى قلت له إنني أستطيع القيادة وحدي.
حين كان في الرابعة عشرة
كان شديد الشبه براي،
وحين مات في الثانية والعشرين
على جانب طريق في ألمانيا
حسبته رحل إلى الأبد.
لكنّ راي يركض في المطبخ، بقميصه المتسخ،
وجينزه الممزق،
يرفع كميه، ويقول لي:
«تحسّسي عضلاتي».
وأفعل.

Twitter: @ketab_n

هزّات جماع الكائنات الحيّة

على المرجة لا تكف الخنافس البرية عن التزاوج.
كل زوجين يفردان أجنحتهما الصلبة
وينضمان إلى بعضيهما.
يضيئان في شعورنا، وعلى أذرعنا،
ثم يسقطان متلاصقين في حجورنا.
وتحتنا، في العشب، يبحث البق عن بعضه،
قرون استشعاره المنتصبة ترتعش،
أقدامه الدقيقة تعدو،
ثم الآهات متناهية الصغر للقاء كل زوجين،
الفرح الغريب لطيرانهما.
على امتداد العشب يلتقيان ثانية،
وينتشيان مثلما يمكن البق وحده أن يفعل.
لهذا السبب، أحياناً،

Twitter: @ketab_n

نحسّ بذبذبة العشب تحت أقدامنا،
كل عشبة ترتجف، والهواء ينحلّ فوق رؤوسنا
ويصطخب حول أذاننا كالمطر.
لكن ينبغي أن يكون فصل الربيع،
وأن تكون مغرماً،
بل مغرماً إلى حدّ الوجع،
إلى حد الألم،
لتسمع كورس تنهداتها المجلّلة بالسواد.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من «حقائق عن القمر» (٢٠٠٦)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حياةُ الأشجار

أشجارُ الصنوبر تهدرُ
في الظلمة المرصّعة بالنجوم،
يتحوّل احتكاك غصونها بالبيت،
عويلاً يعلن التملّك
آن أوان أن أخرج السلّم من السقيفة،
وأصعد إلى سطح البيت،
حاملة منشاراً بين أسناني،
وأقصّ تلك الفروع.
إذ ما هو الواقع
ما لم يكن تلك المقاومة الطويلة المضنية
للنصل والأنياب؟

Twitter: @ketab_n

أريد أن أنام وأحلم بحياة الأشجار،
تلك الكائنات التي تنتمي إلى عالم الصمت،
التي لا تبالي البتة بشأن المال أو السياسة،
السلطة أو الإرادة، الخطأ أو الصواب،
التي لا تريد من الليل إلا القليل،
بضع نجمات ماتت وخبا ضوؤها،
وبومة بيضاء تتنقّل بين أطرافها،
لا تريد سوى أن تغرز جذورها في الأرض الرطبة
محدثة الرعب في مملكة الديدان،
أو أن تهزّ رؤوسها الناعسة
مثل عارضات الأزياء أو قدامى الهيبيين.

لو كان في وسع الأشجار التكلم لما فعلت،
كانت دندنت همساً نغمة خضراء فحسب،
كانت رمت أكواز الصنوبر على الشوارع الفارغة
وحمّلت المسؤولية، بهزة كتف لا مبالية، للرياح الباردة.

Twitter: @ketab_n

خلال النهار تنام داخل جلدها.
بينما فوقها تتمزّق الغيوم كأقمشة بالية.

لا تخشى شمساً أو مطراً، ثلجاً أو ريحاً.
لا تخشى سوى الأعاصير والنيران.
في العواصف تنحني الصغيرة منها،
وتعرّف المسنّة أنها قد لا تنجو،
فتنحدر بينما خطوط الحياة فيها
ترتعش مكسورة عند الجذع،
وتطرح فروعها أضحية للأرض المسحوقة.

لا تصلي.
وإذا ما أصدرت صوتاً تبتلعه الريح.
ولا تبدي امتنانها للنجوم العائدة،
فقط ترشح، من مركز جراحها، نسغاً أعمق.

Twitter: @ketab_n

تلامسُ المياه بإبر وريقاتها،
ثم تنتصب واقفة وتتنفّس
وتتنفّس ثانية.

Twitter: @ketab_n

اجتيازُ الطريق

أيائل أوريك[1] تنتظر بصبر اجتياز الطريق
والرجل الذي صار زوجي منذ ستة أشهر
والذي يحسب نفسه القديس فرانسيس
يخرج من السيارة للمساعدة،
الهواء يطيّر قميصه
وهو يتجه نحو الأيائل الواقفة في صف واحد
مثل متسابقي دراجات هوائية يفحصون مكابحهم،
ثم تنطلق معاً شامخة الرؤوس، متسعة الأنوف،
كل خطوة من خطواتها
شهادة على البطء والزخم في آن.

---

(١) بلدة في شمال كاليفورنيا.

Twitter: @ketab_n

تعبر حارات الأوتوستراد الأربع، بطيئة كتماثيل إغريقية،
كأنها في مراسم تتويج ملكيّة،
بينما الريح الآتية من النهر
تبعثر الفراء الأبيض على ظهورها،
لكنّ زوجي يمضي قدماً
نحو الظبية التي ظلّت واقفة في مكانها تمضغ جذعاً،
ساهية عن شقيقاتها الذاهبات.
هيا امشي، يحثّها، *تقدمي*، يتضرّع إليها،
لكنّ الظبية المستوحدة لا تتزحزح قيد أنملة.
أخيراً يقفان وجهاً لوجه:
كائن عنيد يحدق بكائن عنيد آخر.

هكذا عرفت أن الزواج سيستمرّ.

Twitter: @ketab_n

قبرُ أخي

في ١٩٩٥ سافرتُ من «أوريغون» إلى «ماين»
لكي أزور البلدة التي لم أرها مذ كنت في الثانية
وأرى ذلك المنزل القديم المتهدّم الذي ولدت فيه.
أقمتُ مع عائلة في مزرعة، وأغرمتُ بالزوج والزوجة
حتى أنني رغبتُ في الغوص فيهما كالمياه،
في أن أصبح عشيقتهما،
وحين أدركتُ استحالة ذلك،
رغبتُ في أن أكون طفلتهما.
لكن كان لديهما ثلاثة أطفال
ولم يعد أمامي سوى التجوال في الشوارع
حاملة كوب قهوة ورقي ورغيفاً بائتاً.
عرجتُ على الورشة التي كان يعمل فيها أبي
في صنع بطاقات المعايدة والمغلّفات.

Twitter: @ketab_n

ثم ذهبت إلى بيتنا الصغير
وحاولت استراق النظر من نوافذه المتصدّعة،
وتحسّستُ رقمه الذي علّق بمسمار على الباب.
وفي وسط «واتر ستريت بريدج»
اتكأتُ على الدرابزين حاملة مظلة سوداء،
انتزعتُ حصوة عالقة في السقيفة
ورميتها في النهر.
ثم عدتُ إلى البلدية وطلبتُ خريطة للمقبرة
التي ينامُ فيها أخي طوال هذه السنوات الحزينة،
وقد اضطجع وجهه العذب ورجلاه الطويلتان تحت التراب،
وكانت موظّفة البلدية لطيفة معي،
فرسمت بين الممرّات، على خريطة المقبرة، خطاً متعرّجاً
ثم وضعت أخيراً نجمة فوق اسم أخي.
في الطريق إلى المقبرة توقفتُ عند متجر زهور،
لكنني قررتُ ألا أشتري الورد ومضيت في طريقي
ورحتُ أقتلع الورود البريّة من جانب الطريق،
بعضها خرج مع جذور قوية
إلى حدّ اضطررت إلى اقتلاعه بأسناني.
كانت مقبرة صغيرة مغمورة، وكان مطر صيفي خفيف،

Twitter: @ketab_n

وبعد ممر طويل ضيق عثرتُ على الضريح وجلستُ هناك
وقد امتلأ كوبي الورقي بأعشاب «ماين» الصفراء الشاحبة.
حين وضعتُ الورود البرية بجانب الضريح
وقعت على العشب وبدت مثل ندوب قديمة.
إذا ما قلتُ أنني بكيتُ
لما أوفيتُ اللحظة حقها،
وأكذبُ أيضاً إذا قلتُ أنني شعرتُ بحضور أخي.
فأنا بالكاد عرفته.
كان هناك ذات يوم ثم صار غباراً.
وكنتُ في الثانية عشرة
لا أعرفُ شيئاً عن الحياة.
كيف كان لي أن أتخيّل حينذاك
أنني ذات يوم
سأصبحُ وحيدة إلى هذا الحدّ.

Twitter: @ketab_n

موسيقى صباحية

حين أتذكّر سنوات ثمالته؛
الندوب على وجنته، الشعر الأشعث،
عينه التي ما زالت تدمع بعد سنوات من الضربة،
ترتعش رجلايَ امتناناً لأي سبب أبقاه آمناً،
أياً كان ما منع الزجاجة من التحطّم وتمزيق شريان ما،
أياً كان ما منع القبضة من الانزلاق قليلاً
إلى أسفل دماغه.
الآن يجلس بهدوء على الكنبة، قارئاً،
رافضاً وضع النظارات الطبية التي ابتعتها له،
مبعداً الصحيفة عنه مسافة ذراع.
خلفه النوافذ قد كسيت بالضباب
وبلاط الأرضية يدفع البرد الليلي
إلى أخمص قدميه الحافيتين.

Twitter: @ketab_n

أحب أن أفكّر أنه نجا لكي يجدني،
لكي يصل إلى هنا، صاحياً،
متعباً بعد ليلة طويلة
من الألسنة والأيدي والسيقان،
من موسيقى المذياع، والقهوة...
بحيث يستطيع أن يرفع رأسه
ويراني واقفة في المطبخ بكنزته الخفيفة الممزقة
التي يحفّ طرفها بركبتي،
لكنني أعرف أنه الحظ
ما أحضره إلى هنا.
الحظّ وحبّ لا دخل لي فيه،
سوى أن هذا ما نحصل عليه أحياناً
إذا عشنا بما فيه الكفاية،
وكنا صبورين مع حياتنا.

Twitter: @ketab_n

الطائرُ الغرّيد

دفنّا الطائر الغرّيد
في سريره الضوئي،
دفنّاه عميقاً في التربة،
كانت إحدى عينيه تحدّق
في لبّ الأرض الملتهب،
والأخرى تنظر عالياً
إلى باب في السماء.
أما منقاره فمال شرقاً،
ومالت قائمته الملويّة غرباً،
لامست يدانا صدره
قبل أن تتعانقا،
في طريقهما من الظلمة،
وتهيلا التراب شيئاً فشيئاً

Twitter: @ketab_n

على الرأس، الجانحين، وكلّ شيء،
ثم تربّتا التربة حتى تستوي.
كان آخر الصيف،
وكنا نتهادى معاً
على قارب الموت العظيم
وفوقنا مرّت الغيوم
والريح التي طيّرت شعرنا
أعادتنا إلى البيت معاً.

Twitter: @ketab_n

قمرٌ على النافذة

كنت أتمنّى لو أنني أستطيع القول
إنني كنت في طفولتي أتأمل القمر
أو ألتفت إليه متعجّبة
حين يظهر من النافذة.
لم أتعجّب قط.
كنت أقرأ فحسب تلك الحروف السوداء
التي تزحف من أول الصفحة إلى آخرها.
وقد استلزم الأمر سنوات
قبل أن ينمو لي قلب
من الورق والغراء.
لم أكن أملك سوى مصباح يدويّ،
قمر أبيض يتوهّج تحت الملاءة.

Twitter: @ketab_n

خليةٌ واحدة

«. . . تتضمن قاعدة بيانات مشفّرة أكبر من
حيث المعلومات التي تتضمنها ٣٠ مجلداً من
موسوعة بريتانيكا معاً»
ريتشارد داوكينز، من «صانع الساعات الأعمى».

على أسرّتنا إذن أو على أسرّة عشاقنا
نخلّفُ وراءنا حين نغادرُ أطناناً من المعلومات،
كتب أيامنا التي تاهت عنّا في مستنقع العالم.
بينما نجولُ في أحد الشوارع البائسة
تنمو لنا خلايا جديدة مضمّخة بالشيفرات القديمة،
فنتوقّفُ عن السير،
نتذكّرُ اليوم الذي بكينا فيه بضراوة
على رجل في تابوت،

Twitter: @ketab_n

أو الليلة التي لامس فيها كأس ثغرنا
ورأينا الخلق برمته في وجه غريب ما.
تعاودنا آلام الوضع،
عبق الماغنوليا،
أغنية من إعلان تجاري،
كرنفال بعد الظهر،
نشيد الكورس.
خلايانا تحتفظ بهذه الذكريات،
مثل اسفنجات مدبّبة الأطراف
تخزنا كلما تطلّب الأمر
لكي نستمر في السير،
لكي نمضي متعثّرين
إلى الظلمة التي تنتظرنا.

Twitter: @ketab_n

الكمنجات

حين تسقطُ شجرة ميتة في غابة
تسقطُ غالباً بين ذراعي شجرة أخرى.
الشجرة الميتة، في هذا العناق، تهمسُ في الريح،
تحفرُ ببطء في الأغصان الحيّة،
تجرّدُ جلد الشجرة الخارجي الصلب،
كاشفة عن عروقها الداخلية الحمراء والصفراء.
لسنوات تحتكُ الشجرة الميتة ببدن الشجرة الحية،
تؤلّفُ موسيقاها الميتة، تحفرُ علاماتها الصرفة،
تبلي بتأوهاتها وانثناءاتها الغصن الحيّ،
تصنعُ تلك النغمة العميقة
التي لا تصدرُ
إلا من اتكاء الموتى على الأحياء.

Twitter: @ketab_n

فكرةُ الأعمال المنزلية

ما جدوى هذا الدّرج المليء بالسكاكين النظيفة؟
ما جدوى الأشواك المكوّمة في العلبة البلاستيكية،
أو أطقم الملاعق البيضاوية التي ترين
وجهك منعكساً في كل واحدة منها؟
لماذا تجدين أنه من المهمّ
إزالة وريقات الشجر عن ممسحة الباب،
وكنس خيوط العناكب عن الزوايا،
ونفض الملاءات لكي يسقط عنها
على العشب المجزوز
زغب النوم، والجلد الميت، والشعر المتساقط؟
من يبالي إذا تراكمت كسرات الخبز على أسطح الأثاث،
أو الغبار على صور الأحباء،
أو إذا تكوّمت قناني الحليب الفارغة

Twitter: @ketab_n

على الشرفة الخلفية قرب وعاء الكلب العجوز؟
آه، وفرك النوافذ بالزنجبيل،
لكي تعكس بصورة أفضل
النّسغ البرّاق على وريقات الشجر.
آه، وعطور الربيع الفوّاحة بالشمع والصابون...
لماذا يجدر أن تلمع أشياء هذا العالم
إلى هذا الحدّ؟
أخبريني إذا كنت تعرفين.

Twitter: @ketab_n

الطفلة

تفكّرينَ أنها يجدر أن تكون الآن في السرير،
بينما تتشبّثُ برجليك وتتسلّقك كسياج،
وتضعُ راحة يدها المتعرقة الدافئة
التي بحجم ساعة جيب، على خدّك.
مؤلمٌ أن تنظري إلى وجهها،
هذه الطفلة الغريبة التي تلمسك
كأنما تعرفك وتثق بك،
كأنّ أحدهم أرسلها لتقول لك
أن أياً كان الذي قسّاك على مرّ السنين،
لم يكن لك ذنب فيه،
لكن حين تنظرين في عينيها
ترين ما الذي يعنيه،
ما الذي سيظلّ يعنيه،
أن يلمسها شخص ما.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

دوريان لوكس ٥

من «يقظة» (١٩٩٠) ١١

أشباح ١٣

يقظة ١٨

الطائر ٢٠

على الشرفة الخلفية ٢٢

فتاة عند المدخل ٢٤

شظايا ٢٦

يوم الأحد ٢٨

الحديقة ٣١

الصيد ٣٣

جنية الأسنان ٣٥

ذوبان الجليد ٣٨

Twitter: @ketab_n

من «ما نحمله معنا» (١٩٩٤) ٤١
وقود سريع الاشتعال ٤٣
بعد اثني عشر يوماً من المطر ٤٦
غبار ٥١
متى يمكننا الذهاب؟ ٥٣
صدّ العالم بالغناء ٥٥
إيجاد ما هو ضائع ٥٨
ما يمكن أن يحدث ٦٠
في سبيل الغرباء ٦٤
مقبرة في وادي «هيرد» ٦٦
إذا كان هذا هو الفردوس ٦٩
مسقطُ الرأس ٧١
التخطيط للمستقبل ٧٣
الثانية ظهراً ٧٥
التصاق ٧٨
انحباس النطق ٨٠
الوظيفة ٨٢
آخر أكتوبر ٨٤
آلهة صغار ٨٦

Twitter: @ketab_n

كلّ صوت ٨٩
واقع الحال ٩١
مذياع يوم الأحد ٩٣
موسيقى كافية ٩٤
القبلة ٩٥
أوفيليا على ضفة النهر ٩٨

من «دخان» (٢٠٠٠) ١٠١
قلب ١٠٣
الحياة رائعة ١٠٧
آه، المياه ١١١
قصص عائلية ١١٤
زوجة عامل السفينة ١١٧
محاولة إيقاظ الميت ١١٩
كيف ومتى سيحدث ذلك ١٢٢
مشعل الحرائق ١٢٥
الكتب ١٢٨
يعاودني الموت، فتاة. ١٣٢
دخان ١٣٣
سلّم إلى السماء ١٣٦

Twitter: @ketab_n

سيمفونية الوداع ١٣٩
راي في الرابعة عشرة ١٤٤
هزّات جماع الكائنات الحيّة ١٤٦

من «حقائق عن القمر» (٢٠٠٦) ١٤٩
حياةُ الأشجار ١٥١
اجتيازُ الطريق ١٥٥
قبر أخي ١٥٧
موسيقى صباحية ١٦٠
الطائر الغرّيد ١٦٢
قمرٌ على النافذة ١٦٤
خليةٌ واحدة ١٦٥
الكمنجات ١٦٧
فكرةُ الأعمال المنزلية ١٦٨
الطفلة ١٧٠

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

لمحة عن المؤلفة

ولدت دوريان لوكس في أوغوستا، ماين، الولايات المتحدة الأميركية في ١٩٥٢. تنقلت بين سن ١٨ و٣٠ في وظائف عدة منها عاملة في محطة بنزين، عاملة في مغسل، طباخة، مدبّرة منزل، خادمة، وموظفة في مخبز، بائعة اشتراكات في دليل تلفزيوني... الخ. في ١٩٨٣ عادت إلى بيركلي، كاليفورنيا، حيث تلقّت منحة مكّنتها من الالتحاق بكلية «ميلز» وكانت قد أصبحت متزوجة وقتذاك ولديها ابنة في التاسعة. أصدرت لوكس مجموعتها الشعرية الأولى «يقظة» في العام ١٩٩٠، أتبعتها عام ١٩٩٤ بمجموعة «ما نحمله معنا» التي رشحت لجائزة «ناشيونال بوك كريتيكس سيركل أووردز» التي تعد من أرفع الجوائز الأدبية الأميركية. وفي تلك السنة انضمّت إلى جامعة «أوريغون» ضمن برنامج الكتابة الإبداعية حيث مارست التدريس ثم إدارة هذا البرنامج. نشرت لوكس بعد ذلك مجموعة «دخان» (٢٠٠٠)، كما ساهمت مع كيم أدونيزيو في كتاب «رفيق الشاعر: دليل إلى متع كتابة الشعر» (١٩٩٧). أما آخر إصداراتها الشعرية فهي بعنوان «حقائق عن القمر» (٢٠٠٥).

Twitter: @ketab_n

لمحة عن المترجم

وُلد **سامر أبو هواش** عام ١٩٧٢ بصيدا - لبنان. درس الإعلام والصحافة بالجامعة اللبنانية ١٩٩٦. كاتب وصحافي. له العديد من الأعمال الشعرية والترجمات الأدبية، منها: **الحياة تُطبع في نيويورك**، شعر، بيروت ١٩٩٦؛ **تحية الرجل المحترم**، شعر، بيروت ١٩٩٩؛ **تذكّر فالنتينا**، شعر، بيروت ٢٠٠١؛ **جورنال اللطائف المصوّرة**، بيروت ٢٠٠٣؛ **نُزل مضاء بيافطات بيض**، شعر، بيروت ٢٠٠٥؛ **عيد العشاق**، رواية، بيروت ٢٠٠٥؛ **السعادة**، رواية، بيروت ٢٠٠٧. من ترجماته: يان مارتل، **حياة باي**، رواية، ٢٠٠٦؛ جاك كيرواك، **على الطريق**، رواية، ٢٠٠٧؛ حنيف قريشي، **بوذا الضواحي**، رواية، ٢٠٠٧.

Twitter: @ketab_n

هذا الكتاب

لا ينى يبدّل القلب شكله:
يتحوّل من طائر إلى فأس،
ومن عجلة هواء إلى غصن مثمر.
يتقلّب داخل الصدر
كدبّ بني خدّره الشتاء،
أو كطفل يقفز في مهرجان،
متوقفاً تحت ظلة كشك الألعاب النارية،
أو عند خيمة السيدة السمينة،
أو عند كشك «الهوت دوغ».

@ketab_n

ISBN 978-3-89930-344-5
9 783899 303445

كلمة
KALIMA

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة